

رويتا

مجموعة قصصية

هالة عيد



مكتبة بزة الورود

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : روييتنا - مجموعة قصصية

المؤلف : هالة عيد

رقم الإيداع / ٢٠١٦/٢٠٥٠٠

ترقيم دولي / ٨-٣٨-٦٥٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٦



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٢٥٧٤

إهداء

إلى أعضاء كانوا هنا
ثم غابوا وطوتهم الأزمنة

oboiikan.com

مقدمة

«روبيتا» مجموعة قصصية.. تدور أحداث قصصها في أزمنة وأمكنة مختلفة.. أبطالها يتسمون بالتميز والغرابة.. فهم في المجمل لا يتمون إلى قائمة البشر العاديين.. بل لهم فكر خاص ورؤية أعمق وأدق عن سواهم من البشر.. مما جعل كل منهم محورًا تدور حوله كل الأحداث.. والقطب الأوحـد تأثيرًا في مجرياتها.. أغلبها مستقى من الواقع الذي يبدو أغرب من الخيال أحيانًا.

تأتي في المقدمة قصة «روبيتا».. والتي تدرج تحت عنوانها هذه المجموعة القصصية.. تلك السيدة الريفية غريبة الأطوار.. التي تنسلخ من الحاضر بكل ما يمت إليه بصلة.. وتحيا كما تريد أو كما يصور لها هاتف خفي بأعماقها.. حتى باتت على يقين لم

تستطع أن تزعزعه.. أو حتى تؤثر فيه فجاجة الحاضر وصدmates المتتالية.. بأنها شخصية من عالم آخر تمامًا.. تعشق مفردات الحياة فيه.. وتحن إلى ملامح زمانه البعيد جدًا.. والممتدة جذوره بأعماق العصور الفرعونية السحيقة.

المؤلفة

روایت

oboiikan.com

(١)

النبوة

قالت لها العرافة: إياك ويوم الأربعاء .. ندت
عنها آهة مكتومة .. ودمعة رثاء على شيء كان.

طفت على سطح الذاكرة خيالات حزينة « يوم
الأربعاء » همست دون أن تدري.

تذكرت « كذب المنجمون ولو صدقوا ».

عادت أذنها تلتقط كلام العرافة من جديد «
عمر مديد .. مديد» .. تحسست صدرها مكان
القلب .. تذكرت مرضها الخطير .. ابتسمت ..
همهمت « كذب المنجمون ».

نظرت في عمق عينيها الذابلتين « حزن عميد ..
جرح عتيد .. سوء حظ غالب ».

أرخت طرفها مؤمنة على الكلام .. غابت في
الزمان البعيد.

«لكن الحزن راحل .. والعكس زائل .. ولم الشمل بإذن الله عاجل».

ابتسمت: «الحزن راحل؟!!!» .. ترددت الجملة بين جوانحها مرات في صمت ودهشة.

«ولكن إياك .. إياك ويوم الأربعاء» يرتفع الصوت محذراً من جديد.

غدت كل أيامي الأربعاء .. تأخرت يا سيدتي النبؤات .. حدثتها نفسها سراً.

«نصيبك من تريدين .. حتى ولو بعد حين .. أو حتى أحايين» يعود الصوت خفيضاً حانياً.

ضغطت قلبها الموجوع براحة يدها اليسرى .. تقطعت أنفاسها .. كادت تغيب .. دلكت برفق ذلك القلب المهترئ ألماً .. عادت إليه بعض الحياة .. وكانت على شفا الغروب شمسها.

ارتسمت في عينيها النجلاوين صورة لجسدٍ مسجى في كفن .. وشت بها تلك الدموع المتحجرة .. لحظة إعلان عجزها عن المقاومة .. وتحمل ذلك اللهب المتقد في مقلتيها.

بات السر منكشفاً عارياً .. «مات الحبيب يا بلهاء» .. تدحرجت

دمعة «ومت ألف مرة».. نزت دمعات «وألف أربعاء».

لا تدري وهى على فراش الموت لم عبرت ذاكرتها تلك
الكلمات.. ولم ملأت مخيلتها صورة تلك العجربة ذات الرداء
الأسود.. والوشم المنمى على الذقن حين التقتها على شاطئ البحر
منذ شهور؟!!!

لا تدري لم تريد رؤيتها الآن.. الآن تحديداً.. الآن؟!!!

الآن فقط تيقنت أنها عاشت كل هذا العمر المديد.. المديد.

الآن فقط تشعر أنها عاشت طويلاً طويلاً.. حتى هربت وتعاطت
كل أوجاع الحياة.

شاخ قلبها منذ زمن بعيد لا تذكره.. كُسر آلاف المرات.. جف
نبضه الدافئ.. غاضت فيه الدماء.

رأسها ثقيل.. ثقيل.. لا يقوى جسدها النحيل على حمله.. كأنها
تحمل فوق كاهلها ألف عام.

الآن فقط أدركت المعنى المخبوء خلف النبرات المشفقة..
لكنها تجاهد لتبتسم.

الآن فقط يستعد الحزن العميد للرحيل الأبدى.

الآن يندمل الجرح العتيد.

الآن.. الآن حقاً يزول العكس.

« نصيبك من تريددين » تضحك .. تصرخ .. آآآآآآآآآآه!!

تفريق من إغماءة قصيرة «.. حتى ولو بعد حين».

ينكشف الكفن من فوق الجسد المسجى بعينها .. تنبسط أسارير
الوجه الجامد كقطعة صلصال شكلت منذ آلاف السنين .. تتمرد
أخيراً قطعة الصلصال .. تحتج على جهودها .. خرسها .. موتها.

الآن .. الآن فقط سُمح لها أن تراه بعيداً عن الكفن .. بعد كل
هذه الدهور الطوال .. تتحسس عيناها بلهفة كل هذا العمر المديد ..
المديد!

تومئ إليه « لن تبقى وحيداً يا حلم السنين ».



(٢)

زمان الدفء

كان يومه مشحوناً - كالعادة - بالعمل وحوارات الأصدقاء المملة .. إلى جانب سخافات الحياة التى لا تنتهى .. وأحزانه الجمة التى تحتل أعماقه منذ آمد بعيدة وتأبى الجلاء .. عشقٌ بينها وبينه ممتد إلى ما بعد الرحيل .. عشقٌ شكّل وجدانه وأعاد صياغة ملامحه من جديد .. بعد إضافة بضعة بصمات أخرى أكثر عمقاً تخص سنوات لم تأت بعد .. عشقٌ ساعد فرشاة السنين على العبث بثوابت الألوان والخطوط .. واختزلها فى ذلك اللون الباهت .. الذى زحف حثيثاً إلى مفارقه .. عشقٌ يعصر قلبه ويذيب روحه التى دامت تتوق إلى العشق منذ أدرك المعانى .. وعثر على ذاك العالم المخبوء بداخله .. ليكتشف فجأة أن هناك فى الوجود شيئاً رائعاً .. يخصه وحده دون البشر ..

يقتبس منه حروف شعره .. فيصوغ ذاته الهائلة النائية قصائد من طراز فريد.. ذلك الذى ينبض ويمشى على قدمين .. مترنحاً العمر مضى.. شريد الروح .. متعب القلب .. ممزق الأحاسيس والمشاعر .. طريد أمنية بسيطة .. كانت كل شئ ذات يوم .. يقايض بعمره لو تتحقق .. وآه من لو!!

ارتسمت صورتها لعينيه المرهقتين .. غلفته نبراتها الدافئة .. تردد همسها خفيضاً بين جنبات قلبه .. مهدداً طفولته المتوارية تحت عباءة سنوات ثلجية كثيبة.. غالبه النعاس على صدر الذكرى .. هام شوقاً وحينئذ لذاك الأمس!

كانت الوحيدة القادرة على إخراجه من كل هذا الذى يحيط به ويسكنه .. لملم أوراقه ومشاعره المتناثرة فى كل ركن من أركان العمر .. انسلخ من ذلك الروتين اليومى .. الذى حوله إلى آلة صماء مبرمجة .. فأرأ ببقايا تلك الأمنية البسيطة.. التى دامت تسكن فطرته منذ أن ترك بلدته الصغيرة .. حاملاً فوق كاهله تسعة وعشرين شتاءً .. باحثاً عن ذاته وهويته .. مكافحاً ثلوج الغربة فى أحضان مدينة بلا قلب .. مودعاً إلى الأبد أزمنة الحنان وبقايا الدفء .. وأشياء كان لها طعم الحب!

أمسك بهاتفه المحمول استعداداً للمغادرة .. ضغطت يده رقم

حبيبته تلقائياً من دون أن يدري.. لكنها لم تكن في انتظاره مثل كل ليلة.. كى يبدأ أمسيتهما الرائعة تحت سماء المدينة .. المتوهجة بأضواء النيون والفلورسنت .. طرقات كثيرة كان من المفترض أن يمر بها .. شوارع كثيرة كان لابد أن يعبرها إلى الجانب الآخر .. منعطفات عديدة كان يتعين عليهما أن يسلكاها!

يمشى صامتاً محدقاً في هاتفه الذى أصابه الخرس .. تسائله قسّمات الليل الحزينة.. الأضواء.. الطرقات .. نفس السؤال الحائر.. الذى ارتسم في عيون بائع السجائر المندهشة منذ قليل .. والذى لمحه في عيون أفراد الأمن بأسفل .. بينما كان خارجاً من المصعد بمفرده.. على غير العادة!

قالت له ذات ليلة «لقد أصبح لى ذكريات جميلة في تلك الشوارع ..التى لا أعرفها ولم أمر بها قط...» وقبل أن تكمل كلامها هرول بعدها أنها ستمشيها حتماً .. ومعه هو دون البشر!

هبط درجات النفق ساهماً .. مشى ويؤيد الخطى إلى مقعده المعتاد في انتظار المترو.. وبنفس اللاوعى الجميل.. الذى تملكه منذ ألحت به الذكرى .. يخيل إليه أنه يحدثها .. ثم ينظر إلى هؤلاء المستريين المكّدين على الرصيف المقابل مؤكداً: «آه بحب في التليفون.. فيه مانع؟» .. يطن في أذنيه رجّع يعشقه « كفاية جنان بقى

ده خامس مترو يفوتك».

يهمس حانياً دون أن يدرى «ولا يهتمك يا عمرى.. فداك ألف مترو».. يعلو الرجع بتوسل ودود «الدنيا برد وده آخر مترو»

يدندن «يا ادفا احساس شدى خلانى ادوووب» .. تصح له ما حرّفه عامداً من كلمات الأغنية الشهيرة بنفس الدندنة «يا أعلى احساس شدى خلانى ادوووب» .. يصر مكرراً «يا ادفا احساس شدى خلانى ادوووب».. تبسم قائلة : «افهم من كدا انك مش بردان بجد .. مصداقك.. عشان خاطرى طيب» .. يستجيب متكاسلاً .. يقدم خطوة ويؤخر أخرى .. حتى يكاد يفوته آخر قطارات الليل!

تنفرج شفتاه بابتسامة مرهقة وهو يتذكر تلك الليالى الكثيرة .. حين كان يكتشف فجأة أن القطار تخطى محطته .. لحظة أن ينتبه من شروده اللذيذ فيها ومعها .. يجرى مسرعاً إلى الرصيف المقابل .. محاولاً اللحاق بآخر قاطرة .. ليكملا بعدها آخر طقوس الأمسية المعتادة .. أخيراً التقى النصف مكمله الذى عاش العمر ينقب عنه فى البشر .. انشطرا طويلاً قبل هذا التوحد .. تاها مراراً قبل تلك اللحظة .. يعرفان هذا جيداً.. ويؤمنان أنه لا حياة لأيهما من دون الآخر .. واحد صحيح هما لا يقبل الانشطار أو أيّاً من أنواع القسمة.

في هذه اللحظة تحديداً يود لو يصرخ بأعلى صوت .. يود لو يعيد عقارب الزمن إلى الوراء فلا تعبر أيامها.. يود لو يمتلك جناحين فيطير إلى رحابها.. يفرد ذراعيه عن آخرهما.. يضمهما بقوة معانقاً الهواء .. زمن طويل لم يشعر بالدفء .. زمن مرير كئيب لازمه الألم كظله .. يشاقق بجنون إلى همس كان يطوقه .. يربت قلبه الموجوع .. يزيح ذاك الجليد المتراكم فوق كهولته الهشة.. فتنتفض روحه الثلجية .. يحاول اقتلاع قدميه من أرضية الشارع المؤدى إلى بيته دون جدوى .. تسمرت قدماه في ذات البقعة.. أمام ذلك البناء الفخم الذى لم يكن ضمن أحلامه ذات يوم أن يسكنه.. ربما كان يعبره دونما يلتفت إليه .. لكنه اليوم يود لو يحتضن أسواره العالية .. يقبل تلك الأبواب والشرفات .. يجوب كل الردهات والممرات.. بحثاً عن الحبيبة التى باتت تسكنه.. يجىء سؤالها المعهود «وصلنا فين دلوقت؟» وكالعادة يطلب منها أن تجيب «قولى انتى» فتقول وقد تغيرت نبرتها وخفت إلى حد التلاشى صوتها «قدام القصر الجمهورى»!

بضعة أمتار متبقية.. إلى البيت الذى لن تسكنه أبداً.. تعنى أنها لا بد أن تقول وداعاً.. تخبو الضحكات والصخب .. وحثيئاً حثيئاً يخيم هدوء كثيف .. بلون الغربة وطعم الوجع .. على تلك

البقعة من الأرض أمام القصر الجمهورى .. يرجىء كلاهما قدر ما
يمنحه الليل من بقاء كلمة الوداع!

فى صمت قاتل وملالة .. وقبل أن يأوى إلى كرسىه الخيزرانى ..
القابع فى أقصى يمين الشرفة.. ليدخن آخر سجائره.. يحاول أن
يتذكر موضع مفتاح الشقة.. بين كل هذا الكم من الأشياء المبعثرة
بداخله.. يمرق متمللاً إلى الداخل .. يمارس طقوساً عادية..
تصدمه فجأة بأنه يتعاطى الحياة .. لم يزل!



لا جديد تحت الشمس

هنا على أطراف الحدود الشمالية للبلاد يتجسد
السحر.. يطوى البحر سره بين أحشائه.. يتيه في
غموض رهيب.. تموج على شاطئه الأيام.. تمتد
يده الحانية من تحت جسر عتيق.. لتربت على
صفحة البحيرة الناعسة في كنفه.. مانحاً إياها
العطف والأمان.. يعانق النهر الجميل تحت ظلال
وارفة من الروعة والجمال.. تحف بالمكان خضرة
نادرة والرونق والحسن.

هنا تماماً على مقربة من الشاطئ.. تربض في
سلام مجموعة من البنايات والأكواخ البسيطة..
والناس البسطاء الطيبين.. تعلو أغاريد الرضا
آفاقهم ليل نهار.

عشقوا البحر قدر ما رهبوه وارتاعوا منه.. قدر

ما أوجعهم فراق الأحبة وحبّات القلوب .. الذين ضاعوا تحت
عبابه .. عاشوا على ما يجود به الرب حامدين شاكرين .

ليس أهم من البحر في حياتهم .. وليس الشاطئ الرملي الممتد
كيلوات طويله .. إلا طريقاً مؤدياً إلى البحر وحسب .. لا يختلف كثيراً
عن سائر الطرق الرملية .. التي يعبرونها في الذهاب والإياب .. هكذا
توارثوا عن آبائهم وأجدادهم .

ومع الفجر جهز الصيادون الشبان شباكهم وأدواتهم .. تجمعوا
على ظهر مركبهم البسيطة «مرزوقة» .

انطلقت فكاهتهم وضحكاتهم الرائقة كقطرات الندى تجوب
الآفاق .

دار الغمز واللمز بين الشبان الستة عشر المتجمعون على ظهر
المركب .. ينظرون إلى بعضهم البعض .. بعد أن يختلسوا النظر إلى
الرئيس «شعبان» .. رئيس مركبهم التي تستعد الآن لرحلة صيد
بعيدة .. تستمر أياماً وليالي طويلة .

« مال الرئيس بلاميطة شوكتة مكسورة كده يا ولاد » همس أحدهم .

« إياك يسمعك .. وهو يخلى نهارك زفر .. شعبان يا وله .. شعبااااا »

رد آخر .

ودارت الهمسات بين الشبان منصبة على حال الريس شعبان..
والست بياضة حرمه التي تعشق النكد مثل عينيها.. ولكنهم عادوا
وجزموا أنه يستحق ما يحدث له.. لأنه لم يسمع نصيحة والدته.. ولا
نصائح كل الناس في القرية.. وفضل أن يجرب بنفسه لسانها السليط
وطباعها التي لا تطاق.

تذكر منصور والده الذي أخذته النوة منذ سنوات طويلة.. لا
يذكر عدتها ولا يذكر ملامحه جيداً.. كان في مثل عمر الريس شعبان
تماماً.

فجأة جاء صوت الريس شعبان من أقصى المركب صائحاً بلا
حماس.. ليتنبه الشبان أن الرحلة قد بدأت للتو.

ودّع الشبان الديار بأبصارهم ولم تودعها قلوبهم.. تدور بأذهانهم
ذكريات جميلة وغالية.. تلوح لمخيلاتهم بيوت صغيرة.. شيدوها على
الرمال في الزمان الأول.. وأحلام بعدد نجوم السماء.

شيئاً شيئاً ابتعدت المركب عن الشاطئ.. وشيئاً شيئاً يتلاشى
الكوخ القديم المنعزل عن القرية.. وتتلاشى معه معالم القرية..
وهيكل «صدفة» الواقفة إلى جوار الكوخ ترقب المركب حتى توارت
تماماً.. ووجدت عيناها صعوبة بالغة في تتبعها.

تاهت المركب في عرض البحر.. ولم يزل منصور يلوّح بقلبه

ومقلتيه من على حافة المركب .. فى صمت دون أن يشعر به أحد..
لولا شروده الذى ينمّ عما يكابده من لوعة الفراق.. وقد توارت بقايا
الفنار الأثرى الرابض على حافة الشاطئ هى الأخرى تماماً.

ظلت صدفة ملتصقة بالكوخ القديم كأنها بعض جداره.. تطوف
برأسها خيالات وردية عن منصور.. والفرح الذى سيقام
بعودته.. الزفة والفستان الأبيض .. الشرابات والزغاريد.. الورود
والعطور والناس.. الدنيا الجديدة المرهونة بهذه الرحلة.

فجأة فزعت الملامح الحسنة الحاملة.. شئ ما يُصدر صوتاً
مريباً داخل الكوخ.. كأنه فحيح أفعى.

« بل حرّك الهواء شيئاً بالداخل.. فالجو اليوم متقلب » قالت فى
نفسها.. وسرعان ما عادت لأحلامها الناعمة لصق هذا الكوخ
القديم .. الشاخص منذ آماذ بعيدة جعلته.. بطلاً أسطورياً أوحد
لكل حكايات الصيادين بالمنطقة.

قالوا كوخ أول صياد عاش بالمنطقة.. وقالوا كوخ مسحور ليس
من صنع البشر.. مسكون هو بالعفاريت.. بل كوخ عروس البحر..
وأقسم بعضهم أنهم رأوها تتسلل إليه مع الغسق .. وتغادره مع أول
خيوط الفجر.

ويضحك المحبون من هذه الأقاويل سرّاً.. ويحمدون الله على

هذا الاعتقاد .. الذى لولاه ما رهب الصيادون هذا الكوخ كل هذه الرهبة.. وما تركوه خالياً هكذا.. وما كان للمحبين محراباً يثون فى ظلال حجبه صاباتهم.

رويداً رويداً بدأ الضوء المنبسط على الكون يتلون وتحثد الرؤية عبر ثناياه.. انتشر الصغار على الشاطئ كالعادة.. يفردون شباكهم الصغيرة فى محاولة فطرية للتدرب على مهنة الآباء والأجداد.. وبعضهم يجمع القواقع والأصداف التى تقذفها الأمواج على الرمال.

وهناك على البعد فتيات صغيرات.. تجمعن أبصال النرجس من قمم التلال لتغرسها أمام البيوت والأكواخ.. ليأتى الربيع الواقف بالأبواب فينعشها وتفتح زهورها البهية .. ويحل موسم الراحة للصيادين فتقام الأفراح .. وتُنصب ساحات المرح.. حياة جميلة على بساطتها.. الجميع يؤمن بالقضاء والقدر.. لا يحمل همَّ الغد أو الرزق.. كل صياد يعلم يقيناً أنه ربما يذهب ولا يعود.. لكنه راضٍ بمشيئة الله حتى ولو كانت اللاعودة.

« البحر موجود .. والرزاق وجود » هكذا يقولون دوماً .

ومع ارتفاع الشمس إلى عنان السماء الغائمة المضطربة.. همت صدفة مسرعة بالعودة إلى البيت .. تدرب نفسها على تحمل كلمات

أمها اللاذعة بسبب تأخرها بالخارج.

ومع حلول الضحى تجمع الصيادون على المقهى الوحيد بأطراف القرية.. جلسوا يتباحثون تلك المشاكل التى طرأت على مهنتهم.. التى يتعيشون منها ولا يعرفون غيرها.. وحال البحيرة الذى أصبح لا يسر عدواً ولا حبيباً.. تحلق الجمع حول شيخ الصيادين.. ووسط صيحات صبي المقهى.. وضجيج الأمواج التى يقبل رذاذها وجوهم أمام المقهى.. بدأ الحوار متداخلاً وغير مرتب.

« المسألة طولت وغمقت قوى ياريس » قال أحد الصيادين ضجراً.

« يا جماعة إن الله مع الصابرين » قالها شيخ الصيادين محاولاً تهدئة الموقف الذى يعرف حقيقته جيداً.. كما يعرف تماماً ماذا تعنى البحيرة بالنسبة لهم.

أطرق العجوز إلى الأرض محاولاً إخفاء قسمات وجهه المنقبض.. خوفاً على مصير هؤلاء الصيادين وأسرههم البادى فى الأفق.. خصوصاً بعد كلام المسئول له بالأمس.. والذى يزلزل أعماقه الآن.. فقد كشف عن نواياه بكل بجاحة.. وأعلنها صراحةً بأن عليهم تقبل الوضع الراهن.. وعلى المتضرر زرع رأسه فى قاع

البحيرة.

نهض الشيخ متوجهاً مرة أخيرة لمكتب المسئول بالمدينة الكبيرة .. على بعد كيلوات كثيرة من القرية المنفية بعيداً على الشاطئ.. بينما انشغل بعض الصيادين بترقيع غزلهم .. والبعض بمحاولة يائسة للصيد في البحيرة.. في حين ظل آخرون يحتسون الشاي والقهوة والحلبة.. وينفثون غضبهم مع دخان الشيثة الذى يتصاعد إلى أعلى.. مكوناً طبقة أخرى من السحب.. غير تلك البادية في كبد السماء فوق رؤوسهم.

خلفت المركب وراءها مدناً كثيرة.. والشبان على متنها يحلمون ويشيدون الآمال.. تعلو أصواتهم بأغنيات جميلة حفظوها عن الكبار.. ورددوها منذ أدركوا الحياة.

اختفت وراءهم رشيد.. كما تلاشت الأسكندرية الجميلة خلفهم بعد عبورهم ميناء الصيد بها إلى مرسى مطروح.. حيث كانت وجهتهم.. وقبالة شواطئ السلوم جعل الشبان يفردون شباكهم ويجهزون أدواتهم.

« توكلنا على الرزاق » قالها الريس شعبان أولاً.. ثم دارت على ألسنة الشبان الواحد تلو الآخر.. مضت عدة ساعات والشبان تكاد تطير قلوبهم فرحاً.

الرزق وفير.. والخير كثير.. فالأسماك تكثر في هذه المنطقة في هذا الوقت من السنة.. هكذا أكدت خبرة الآباء والأجداد.

مضت أيام الرحلة ممتعة كلها.. مليئة بالعمل.. بالخير.. بالضحك.. بالغناء الجميل.

« الحمد لله.. استعدوا للعودة يا شباب » قال الرئيس شعبان في ود.

« جاهزين ياريس » رد الشبان في صوت واحد.

بعد أميال قليلة في طريق العودة.. شعر الشبان بانحراف المركب قليلاً عن مسارها.. بدت الرياح شديدة بعض الشيء.

تضرع الرئيس شعبان إلى الله خفية في تلك اللحظة بأن تخيب ظنونه.. وأن تذهب كل خبراته إلى الجحيم.. تمنى بالفعل أن تكون مجرد ريح تداعب المركب قليلاً أو حتى كثيراً.. ثم تذهب إلى حال سبيلها.

لكن الرياح اشتدت على عكس ما اشتهى.. زلزلت المركب بعنف.. هرع الشبان إلى مقدمة المركب.

« النوة ياريس » صاح منصور.

« لله الأمر يا بنى » قال الرئيس شعبان مستسلماً.

« اقف هنا يا منصور.. وأنت يا حامد هنا مكاني.. خلى بالك »

كويس يا حامد.. وانت يا حسن هناك.. وانتم يا شباب تعالوا هنا «
أردف الرئيس مسرعاً.

جعلوا ينزحون الماء الغزير الذى ملأ سطح المركب.. وكلموا
نزحوا ازداد الماء غزارة.. لكنهم لم يئسوا وواصلوا عملهم.
تضاعف الماء على سطح المركب.. ارتعدت أوصالهم.. أدركوا
أنها النهاية.. لكنهم ظلوا ينزحون فى ذلك العزم المستمد من الفرصة
الأخيرة للتشبث بالحياة.

غطى الماء المركب عن آخرها وتلاطمت فوق سطحها
الأمواج.. بدأت تترنج فى عرض البحر.. تتهاوى شيئاً شيئاً إلى
القاع.. وبآذان الشبان الستة عشر تدوى زغاريد العرس.. وتهانى
العيد القادم بعد الغد.. معتردين لعروس منصور عن عدم الوفاء
بالوعد.



oboiikan.com

(٤)

يوم عادي جداً

حالة من الطوارئ تعم المدينة الصغيرة.. ألقُ على غير العادة.. لغط لا تكاد تبينه الأذان.. وما يلبث أن يتحول إلى ضجيج وصخب.. فجأة يهدأ الجميع فلا يُسمع إلا همساً.

باقات لا تحصى من الورود والزهور.. عشرات الآلاف من الجنيات في صورة زخارف وزينات.. آلاف أخرى كثيرة من الأطفال في مراحل التعليم المختلفة.. ومثلهم أو يزيد من المدرسين والموظفين.. مصطفىون من الفجرية على جانبي الطريق.. حاملين بادجات خاصة بالجهات التي يتمون إليها.

كل ذلك جعل خطى «علا» طالبة الفنون الجميلة تتأقل كثيراً.. لم تعد قضيتها الأولى الآن

هى الوصول إلى كليتها.. كما هى قضيتها الأساسية منذ أكثر من عامين.. حال خروجها من البيت فى هذا الوقت.

جالت عينها مرتابة بين جموع المحتشدين على جانبى الطريق.. وهى تحاول استقراء السبب دون جدوى.

« ترى ماذا يجرى الآن أيها الطيبون المصلوبون على الأرصفة » همست فى نفسها مندهشة.. وتبأ لها الناس وكأنهم دمي مزركشة.. أو ربما أعمدة مبهرجة.. أو أشرطة ملونة تزين جانبى الطريق.

دارت يمينا ويساراً.. وعيناها مازالت تجوس خلال الجموع الغفيرة بنفس الدهشة.. ونفس اللاجدوى.

دفعها الفضول إلى استرجاع كل المناسبات التى يحويها ذهنها.. وتكتظ بها ذاكرتها.. فلم تتصادف إحداها مع هذا اليوم على الإطلاق.

يوم عادى جداً.. مثل الغالبية العظمى من الأيام.. لا تميزه أية مناسبة.. ولا يزيد عن كونه يوماً مرهقاً.. يضيف إلينا المزيد من العناء.. ويطيح بلبنة جديدة من صرح العمر.

« ما مناسبة هذا الكرنفال إذن؟! » تعود وتهمس فى نفسها من جديد.

ليس تشيع جنازة بالطبع.. فالجميع فرح مرح.. راسماً ابتسامة عريضة جداً على الشفاه.. وهذه الألوان الزاهية المتباينة تؤكد ذلك.

ربما هو أحد السباقات الرياضية.. ماراثون مثلاً؟! وهؤلاء المصطفون هم المتسابقون.. فقط ينتظرون صيحة البداية.. قد يكون بالفعل.

« لا.. لا.. فمركز الشباب بالمدينة ليس بهذا التطور.. حتى يتسع أفق القائمين عليه لمثل هذه السباقات » قالت في نفسها وهى تتذكر يوم أن ذهبت إلى هناك يحدوها الأمل.. مفعمة بالحماس.. لعرض فكرة تكوين فريق من الفتيات لكرة اليد.

« فريق بنات إيه.. وكرة يد إيه يا آنسة.. هو فيه أصلاً فريق للولاد.. ولا فيه مكان أو ميزانية للكلام الفارغ ده.. انتى فاكرة نفسك فى نادى الزمالك ولا نادى الجزيرة؟ » مازالت كلمات مدير المركز الجهول تدوى فى أذنها.

« إنسان بهذا الجمود لا يتسع أفقه لأكثر من دفتر الحضور والانصراف.. صبح النوم يا آنسة علا! » حدثت نفسها فى صمت.

« هو فيه إيه النهارده؟! » قررت أخيراً الخروج عن صمتها متسائلة.. وفى استنكار كبير التفت إليها أكثر من عشرين شخصاً متطوعين بالإجابة.. وكأنها أجمت حين ألقت بسؤالها هذا خارج

حنجرتها.. أو أنها قد كشفت به عن جهلها العميق.. فكان ولا بد أن تكون على دراية بمناسبة اليوم.. بل وتكون ضمن المصطفين على جانبي الطريق.. ولكنهم على أية حال أخبروها أن مسئلاً كبيراً سيزور المدينة اليوم.

« مستحيل!! مستحيل!! » قالتها في شبه صياح .. فقد ظنت أن الناس تجاوزت هذه الخزعات منذ زمن بعيد.

« أه يا بلادي .. ضيعك أهلك بجهلهم.. أى بروتوكول هذا الذى ابتكره هؤلاء.. أى رقيب سمح لهم بإهدار كل هذه الأموال.. أى عاقل يرضى بهذا السفه؟! » أردفت بنبرة أشبه باليأس من انصلاح أحوال بلد هؤلاء أفراد شعبه.

« لقد أخطأتم فهم الآية يا قوم .. فليس هذا هو اليوم المجموع له الناس » تمتت وهى تهم بالانصراف إلى حال سبيلها.

دارت عيناها فى كل اتجاه.. تبحث عن وسيلة مواصلات واحدة.. تنقلها إلى كليتها فلم تجد.. وبعد السبع دوخات أخبرتها مجموعة أخرى من المتطوعين.. وما أكثرهم فى هذا اليوم.. بأنه لا أمل فى العثور على ضالتها إذا ما بقيت بمكانها ولو ألف عام.

لم يا قوم؟ السبب بسيط .. لقد تم إخلاء الموقف بوسط المدينة.. إلى أين؟ لا أحد يدرى.. ربما إلى أحد أطراف المدينة.. أو

إلى لا مكان.. فلا أحد يهتم.

« ما هذا العذاب ياربى؟ الزيارة دقائق معدودة.. والخسائر جد كبيرة.. وأيضاً تعطيل مصالح الناس.. والمصيبة الحقيقية انه قد لا يأتى المسئول اليوم.. ويتكرر هذا الغباء مرات ومرات!» تمتمت وهى تحاول الاهتداء إلى وسيلة مواصلات ترحمها من هذا العبث.. الذى يتجسد أمام عينيها الآن.. ومن سخافة القائمين عليه.

تاهت بين نفر من البشر.. شغلتهم مصالحهم وهموم المعيشة.. عن الترحيب أو الفرجة.. فتكدسوا فى مدخل المدينة بحثاً عن أية وسيلة والسلام.. حتى ولو كانت عربة نقل الموتى.

ألهمت شمس آيار جسدها النحيل بسياطها الحامية فاشتعلت وجتها.. وتفصد العرق من جبينها... زفرت غيظها ساخطة على هذه المسرحية الهزلية.

« قم يا والدى.. فليس ثمة أمل فى الذهاب إلى أشغالنا اليوم.. الله يجازى الأغبياء!» قالت وهى تلتفت عن يسارها لتمسك بيد العجوز الذى أجلسه منذ ساعة أو اثنتين على صخرة مجاورة.. بعد أن خارت قواه وعجز عن تحمل الوقوف.

« يفعل الله ما يريد» همهم العجوز وهو يحاول الإمساك بعصاه.. لتساعده على الوقوف ثانية.. فى وهن وعناء.. تغيب أنفاسه وتجىء

مع كل كلمة.. مؤكداً أنه لم يعد في العمر أكثر مما مضى .. حينما تذكر أنهم في التأمين الصحى لن يصرفوا له العلاج إذا تخلف اليوم.. فالدواء يُسكّن آلامه.. ولكن ما عساه أن يفعل.

«كله بأمره» قالها ثم انصرف وئيداً إلى حيث جاء.

مضت عائدة.. تاركة وراءها كمأ من الغليان في صدور الناس على أعتاب المدينة.. يكفى للزج بهم إلى حيز الجنون بمنتهى السهولة.. عالقة ببصرها صورة ذلك المسن.. الذى يحكى وهنه قصة كفاح دامت عشرات السنين.. وينم عن ما يرعى بجسده من أمراض.

يطن بأذنها على امتداد الطريق.. صوت ذلك الرجل الذى يحمل حقيبة معينة.. ويرتدى زياً رسمياً رغم الجو الخانق هذا الصباح منذ ساعاته الأولى.. وهو يصيح فى كل اتجاه.. لدى محكمة يا ناس.. الجلسة بدأت يا عالم.. سيارتى.. الحادثة.. الميكانيكى.. يا خلق هوووووه!



زهرة الياسمين

لم يكن في طبعها الثثرة.. أو المشاركة في
حوارات.. غير التي يقمحها فيها رغماً عنها
رفيقاتها بالدار.

تفضل هي الوحدة دائماً.. تخلو إلى نفسها
ساعات طويلة.. تعزف طويلاً على آلة البيانو التي
تعشقها.. حتى قبل أن تصبح مدرسة للموسيقى في
فجر شبابها...

تحقق شاردة في آفاق بعيدة.. لا وجود لها إلا في
خيالها.. تحملها النغمات العذبة إلى عالم رائع
تفتقده.. عالمها الحقيقي الذي لم تعثر عليه يوماً.

ناعمة هي .. حالمة كخد وردة ندية.. ملائكية
الصوت والصفات.. رقيقة إلى درجة الشفافية
.. هادئة الطباع إلى حد يقترب من الملل.

حيّر صمتها الدائم وشرودها الرفيقات.. لغز هـى بالنسبة للجميع.. منذ أن قدمت إلى الدار قبل ما يقرب من العامين.

اخترعت كل واحدة منهن لها قصة.. نسجتها بعناية وأصرت أنها الحقيقة.

« زهرة الياسمين » ليس اسمها الحقيقي.. لم تكن هـى نفسها تعرف هذا الاسم إلا فى اللحظة الأولى التى وطأت قدمها أرض الدار.

تسمرت الإخصائية الاجتماعية.. حين رأتها على البوابة الخارجية للمبنى تود الدخول.. حلفت فيها مشدوهة.. تمنى لو أنها نزيلة جديدة بالدار.. هـى كذلك بالفعل.. لكنها تبدو أصغر من سنها كثيراً.. أنيقة جداً.. ورشيقة جداً.. هـى فى مجملها العام جميلة جداً.

ظنتها الإخصائية مفتشة من الوزارة.. بعد أن استبعدت تماماً أن تكون نزيلة جديدة.. فنزيلات دار المسنين لهن سمت مختلف.. أسرعت معذرة عن اعتراض طريقها بهذا الحمق غير المقصود « تفضلى.. تفضلى.. هذا مكتب الست المديرية »...

بعد فترة استدعتها المديرية لتشرح للأستاذة آيات عبد الفتاح مديرة مدرسة البنات الخاصة سابقاً نظام الحياة بالدار.

« بل زهرة الياسمين » همست الإخصائية وهى هم بكتابة اسمها

وتسجيل بياناتها في سجلات الدار.

منذ ذلك الحين صار اسمها زهرة الياسمين.. فلا يعرف أحد مطلقاً اسمها الحقيقي..

«لله في خلقه شؤون!!».. عبارة واحدة فقط على لسانها دائماً ترددها وهي تبسم بهدوء عندما تسمع تلك الروايات عنها.

تكاد تموت كمداً من ردها هذا السيدة ثريا.. أو الحشرية كما يسمونها بالدار.. لكنها لا تسأم أبداً من محاولة حملها على الكلام.. مالت هامسة في أذنها « مدام عنايات بتقول ولادك هما الى جابوكي هنا».

لم تكن ابتسامة زهرة الياسمين كافية مطلقاً للرد على هذه القصة الجديدة المنسوجة حولها.. بل خرجت من طور الصمت المطلق إلى أول نغمات الرنين.

« أولادى؟! » ضحكت هامسة.. ورأتها قصة مسلية جداً فأرادت أن تعرف إلى أى مدى يمكن للوهم أن يلعب بالعقول ويأخذ البشر للخيال.

« آه..آه.. أولادى.. لا بد أنهم السبب بالطبع » قالتها في تأثر يشبه الأسى إلى حد كبير.. فغرت مدام ثريا فاهاً.. ثم افتعلت على الفور

مشاركتها التأثر قائلة «يعنى الكلام دا صحيح.. يا حراااا!!»

تسربت بعض الضحكات الخافتة الأخرى.. وهى ترقب لهفة تلك الحشرية واشية الدار لمعرفة المزيد.

«بالطبع يا مدام ثريا.. ولم لا.. لكن هذا لو كان لدى أولاد؟»

- إذن انت لم تنجى مثلى؟

- ليس بالضبط.

- حيرتنى!

- سلامتك من الحيرة يا مدام ثريا.

- ولم إذن تركت بيتك وأتيت إلى هنا؟!

- تبرعت بشقتى لجمعية خيرية ترعى الأيتام

- إذن ليس لديك أولاد؟

- بل لى.

- حقاً!

- هؤلاء الأيتام أبنائى.. لم أحب فى حياتى شيئاً أكثر من

الأطفال.. عسى الله أن يتقبلها منى صدقة جارية!!

«ولكن لم لم يكن لديك أولاد؟!» لم تكتف ثريا الحشرية بكل ما

سمعت وعادت متسائلة...

- لأنني آثرت الحب الباقي

- لا أفهم

- لا تشغلي بالك

- أتيت هنا باختياريك إذن؟

- يهيهىءلى هذا

- يهيهىءلك؟ ردودك غريبة جداً.. فزورة هى؟ إما نعم .. وإما لا.

- يامدام ثريا.. الاختيار فى هذه الحياه مسألة نسبية .. فهو ليس مطلقاً بالنسبة لنا نحن البشر.. وهل يملك أينما حق الاختيار الحقيقى أو الكامل؟ قد يبدو فى الظاهر أنه بأيدينا.. والحقيقة أنه قدر لا بد نافذ فينا.. مهما كانت رغباتنا الحقيقية.

- فلسفة عالية أنا مش قدها.

- لا فلسفة ولا غيره.

ورغم كل الردود لازالت تحاصرهما الحشرية بأسئلتها.. وفضولها الذى لا يحتمل.. وهى تجيب على نفس المنوال .. بغموض ورزانة كعادتها على الدوام.

هى لا تسأل عن أى شىء يخص أى إنسان.. فلم تحاصرهما تلك المرأة الفضولية بكل هذه الأسئلة؟ لا تجد تفسيراً ولا مبرراً سوى أنها بالفعل حشرية...

على أية حال هى لا تبدو ضجرة من تساؤلاتها على كثرتها وشدة خصوصيتها.. بل تزداد ضحكاتها الهادئة مع حيرة مدام ثريا.. التى تشفق عليها من شدة فضولها هذا.. الذى يبدو أثره متعباً جداً على قسّمات وجهها.

اليوم تبدو زهرة الياسمين غريبة جداً.. على عكس طبيعتها تماماً.. تريد أن تتكلم طول الوقت.. تود ألا تصمت أبداً.

تعلو الدهشة وجوه الرفيقات.. تتلهفن لأن تبوح بأى شىء عن حياتها السابقة.. تنظر كل منهن إلى الأخرى فى شبه تساؤل «لم لا تبدأ كلامها؟».

لم تسمح زهرة الياسمين بأن يظل التساؤل مرسوماً فى العيون أكثر من هذا «أردت فقط أن أحكى حكاية تسليكن.. موافقات؟».

وتجيب كل العيون التى لم يزل مرسوماً بها نفس التساؤل بكل اللهفة.

تبسم من أعماق قلبها.. تهمس كتغريد بلبل صباحى «أرجوكو

لزوم الصمت.. ها حكيكو حكاية بنت.. ولاختصار الوقت.. كان فيه زمان بنت.....» وتنخرط تحكى وتحكى كما لم تتكلم من قبل قط.

« وتوتة توتة.. فرغت الحدودة» تغيرت الابتسامة قليلاً.. غزاها بعض الحزن.. الشوق.. الحنين.. لكنها لاتزال مبتسمة.

« جميلة جداً حكايتك » في صوت واحد عقببت الرفيقات متأثرات!

« تذكرنى بحكايات ألف ليلة وليلة .. تشبه حكاية ست الحسن.. خيالك رائع!! » واصلت إحداهن الكلام.

« إنها قصة حقيقية يا عزيزات.. ليست من بنات أفكارى.. وأعرف صاحببتها جيداً » همست بنفس الهدوء والابتسامة.

- تعرفينها؟!

- نعم.. كما أعرف نفسى.. هى فى نفس عمرى.. وتشبهنى تماماً.

- والفارس الذى أحبته؟

- أعرفه أيضاً كما أعرفها.. بل أكثر بكثير مما أعرفها

- وأين هى الآن؟!

- وهو؟!

- وماذا حدث؟!

- هل تزوج بأخرى؟!

- وهل تزوجت غيره؟!

- هل عاد إليها ثانية؟!

- هل.....؟؟؟!!

اتسعت ابتسامة زهرة الياسمين قليلاً « مهلاً.. مهلاً يا رفيقات.. لا.. لم يحدث هذا كله.. لم يتزوج بأخرى.. ولم تتزوج هي غيره قط.. فلم تحب سواه في حياتها.. يمتزج هو بروحها ودمها وكيانها.. ذكرها هي الهواء الذى تنفسه.. تحيا بطيفه الذى لم يغب عنها لحظة منذ رحيله... »

لاذت بالصمت والدموع تتساقط على خديها فى هدوء يشبه ابتسامتها الرقيقة التى ظلت مرسومة على شفثيها طيلة الوقت.

- رحل.. تركها؟

- مات!!

- مات؟!

- أوه.. مسكينة!!

- بل حتى بداخلها يا حبيبات.. يعيش معها عمرها لحظة بلحظة.. يشاركها كل الأشياء.. أفرحها.. أحزانها.. آلامها.. حتى شرودها وصمتها.. تسعد بكل يوم يمضي بها إلية.. تحيا فقط على أمل اللقاء...

« اللقاء.. اللقاء.. اللقاء... » أسندت رأسها إلى الكرسي البلاستيكي نصف الدائري مستريحة تماماً.. استرخت كما لم تسترخ من قبل.. وظلت تردد بصوت خافت جداً.. ناعم جداً.. ثم أغمضت عينيها وقد اتسعت ابتسامتها أكثر...

مسحت العجائز دمعاتهن المنتضامنة مع دموع زهرة الياسمين.. ربت مدام ثريا على يدها الممدودة في استرخاء تام وسكينة على أحد جانبي الكرسي.. سقطت اليد إلى أسفل باردة متصلبة.



oboiikan.com

(٦)

السماء تمطر بتراً

تسللت بعض أشعة شمس آذار الهادئة .. من
خلف حُجب الغمام الكثيف .. الناشر عباءته على
الكون .. لتمنح البلدة الصغيرة بعض الدفء .. إلى
حين تُعلن السماء احتجاجها على ذلك الطواطؤ ..
وتصب جام غضبها على الجميع .

نادت الأم زوجة ابنها وابنتها العروس .. التى
حصلت على شهادتها المتوسطة فى العام الماضى
وتنتظر يوم زفافها .. والذى سوف يحين فى موسم
الحصاد بعد أسابيع قليلة .. جعلت الأم تستحثهما
على الإسراع بالانتهاء من إعداد الطعام .. قبل
عودة الرجال من الحقل .. لتناول وجبة الغداء ..
بعد صلاة الظهر التى حانت قريباً .

تسمع زوجة الابن الشابة صراخ رضيعها

المتواصل .. المختلط بندااءات الجدة تدعوها لترك ما بيدها.. وأن تأتي من فورها للصغير.. فتهرول مسرعة لتلبى تلك الدعوات المتتالية.. تلتقط صغيرها بلهفة من حجرها .

بينما تناولها الجدة الصغير سمعتا انفجاراً مدوياً بإحدى درجات السلم الخرساني بجانبهما.. هرعتا إلى الشارع مذعورتين.. تمسك كل منهما طرفاً من الصغير.. وقبالة المنزل وقفنا مذهولتين ترقبان مع الجيران مع ما يحدث.. مال البيت المكون من ثلاثة طوابق مترين إلى الأمام .. ثم إلى الخلف .. ثم هبط الدور الثاني ليحل محل الدور الأول الذى ابتلعه الأرض عن آخره بكل ما فيه من أثاث فى لحظات.

انتاب الجميع حالة من الفزع الشديد.. وقبل أن يفيقوا كانوا قد قرروا ترك منازلهم المجاورة فى التو ودون أن يحددوا المأوى البديل.

ظل الجميع يرقب فى ذهول ما قد يطرأ من تداعيات.. وتوافدت جموع الناس من القرى المجاورة فور سماعهم هذا الحدث العجيب الذى انتشر خبره بسرعة البرق.

بينما انتشرت قوات الأمن حول المنزل .. وتوالت اللجان الفنية للمعاينة .. من جهات معلومة وأخرى مجهولة.. وثالثة بين بين..

وأخذ مندبو ومراسلو الصحف يدسون أنفهم في كل الأمور.. حتى التي لا تتعلق بالحادث مطلقا.. في حين انزوى مندوب جريدة معارضة بمجموعة ممن توسم فيهم الحماس اللامبرر لأية قضية.

« كله من الحكومة .. لو كان المواطن يهتمها فعلا كانت تعمل كشف دورى على المنازل لتلافي مثل هذه الكوارث.. لكن المواطن أرخص شىء في هذا البلد» همس المندوب المعارض في شبه وشوشة.

« والله عندك حق يا أستاذ.. مفيش أرخص من كده» رد أحد المتأخمين مؤازراً بنفس الوشوشة.

في حين تبدى شاب ساذج يزعم أنه صحفى .. ويتباهى ببطاقة انتمائه لجريدة إقليمية صفراء.. ولا يعلم أنه لو أظهرها .. لكانت قائده إلى السجن من أوسع أبوابه.

وفي صورة كاريكاتورية.. التصق كل مندوب من الصحف القومية بمسئول ما.. يدون تصريحاته.. واستجابته الفورية لحظة معرفته بالحادث.. بينما لازمت محررة الحوادث .. بصحيفة قومية كبيرة الضباط الموجودين بالمكان.. أسرع تلملم صور كبارهم.. لترصها فيما بعد جنبا إلى جنب على صفحة جريدتها.. وإلى جوارها أو فوقها أو تحتها أحلى كلام.

اكتظ المكان بالناس.. وضج طيلة الوقت بالتخمينات.. والتحليلات.. ومصمصصة الشفاة.. تداخل اللغظ وتمازجت الهمهمات.. فتعالى ما يشبه ترنيمات فرعونية في طقس غير مفهوم.

خمن بعضهم أنه قد يكون بفعل الجن.. في حين رفض البعض الآخر هذا القول.. واعتبروه تخاريف سدج ومجاذيب.. وجزمت طائفة بأن البيت قديم جداً.. وأكدت أخرى بأنه بنى بطريقة خاطئة.. بينما لم يُجد تأكيد الجيران المقربين بأن البيت حديث البناء.. وليس به أية عيوب فنية.. وأرجأ البعض سبب النحس إلى رقم ثلاثة.. في حين ردت الأغلبية السبب.. إلى غضبة مفاجئة من الأرض على أصحابها.

«وهل تغضب الأرض؟ ربما.. ولم لا؟ مؤكداً عندما لا يعجبها حال من فوقها» هكذا تساءل نفر.. وهكذا برر آخرون.

تنبّهت الأم التي تكومت منهكة الذهن.. خائرة القوى إلى جوار جدار قريب.. تتابع ما آل إليه حال بيتها.. ومن حولها الجارات يهدئن من روعها.

«بتى .. بتى!!» تصرخ المرأة بلا انقطاع.



(٧)

روبيتا

الحرارة القائظة التى تكاد تصهر الدنيا بما فيها.. جعلت الأم تنادى طفلها فى تأكيد وحزم.. تحذره من الخروج إلى الشارع فى هذا الجو الملتهب.. وفى رضوخ المغلوب على أمره.. ولأن الدنيا بالفعل نار استجاب الطفل دون نقاش.

تسلق الطفل سور الشرفة الفسيحة.. جعل يتخطى الأعمدة الخرسانية الواحد تلو الآخر.. ويعيد الكرة مرات.. شعر أن الأعمدة كتلة من اللهب بين يديه الصغيرتين المعروقتين.. وأن السور الحجرى يتصبب عرقاً.. تحت قدميه كما يتصبب جسمه الصغير.. توقف عن لعبه فجأة.. جلس فى حركة لا إرادية على السور النارى.. مد رجليه نحو الأرض.. قفز فى تروٍ وحرص.. تسمرت قدماه إلى جوار شيء ما.. لم يكن موجوداً

حين تسلق السور قبل قليل .. ارتعدت فرائص الصغير وانحبس
صوته لبرهة .. هرع نحو أمه مذعوراً .. يصرخ دون انقطاع .

« مالك يا حمادة .. فيه ايه يا بابا » قالت الأم مندهشة .

« تعبان يا ماما .. تعبان كبيراً ! » جعل الطفل يقول لاهثاً .

خرجت الأم الريفية الشابة .. التي تخطو فوق عامها الخامس
والعشرين .. وبهدوء مريب داعبت الحية .. الرابضة إلى جوار السور
من الداخل .. غافلتها ودقت رأسها بحجر ثقيل .. لكن دون أن تهشم
الرأس تماماً .. تأكدت أن الثعبان وهو من نوع الكوبرا قد فارق
الحياة .. أخذت تلهو به وتطوحه في الهواء يميناً وشمالاً .. تفرده على
الأرض حيناً .. وترفعه إلى مستوى رأسها حيناً آخر .. والطفل يرقبها
في ذهول .

لاحت للأم فكرة طالما ألحت بها من قبل .. لكنها هذه المرة رأتها
فكرة رائعة .. التفقت إلى الابن المتقنذ المرتعد على بُعد خطوات ..
مؤكدة أن الثعبان أصبح جثة هامدة ولا يستطيع أن يؤذيه .

حملت الأم الثعبان الكبير فوق راحتها .. مشت بتؤدة إلى
الداخل .. وضعت في ركن رطيب من حجرة خالية في أعماق البيت
الريفي الكبير .

هرولت مسرعة إلى الحقل تلفحها شمس الهاجرة دون اكتراث..
اقتلعت بعض النباتات الغريبة.. التى لا يعرف الناس لها فائدة
..ويسمونها أعشاب شيطانية.. ثم عادت من فورها.

وفى الحجرة الخالية إلا من الثعبان .. بأعماق البيت الريفى
الكبير.. جلست تعصر النباتات .. وتمزجها مع بعض المواد
الأخرى البسيطة.. الموجودة فى كل بيت .. ومنها ما لا يصلح الطعام
إلا به.. ومنها أعشاب تستخدم بصورة شبه دائمة فى الحياه اليومية..
وبعد وقت ليس باليسير.. انتهت الأم من تنفيذ فكرتها الرائعة.

كانت المرة الأولى التى يرى حمادة فيها أمه.. الريفية البسيطة
تجلس هذه الجلسة.. كأنها شخصية أخرى تماما .. صُعَبَ على عقل
الصغير وقتها تحديدها.. أو استيعاب مفهومها.. أرعبته الأفكار..
تهياً له أنها ليست أمه.. وأنها إحدى الجنيات من تحت الأرض
تسكن هذه الحجرة المنزوية.

انهالت على خياله الغض أشباح العفاريت.. التى كانت تظهر
فجأة للناس فى الزمن البائد.. وعرائس البحر اللاتى يعشقن رجال
الأنس.. ويرغمنهم على الزواج بهن.. واجترت ذاكرته المشوشة
حكايات جدته الكثيرة عنهن.. وتربعت على عرش مخزون حكاياته
الهش.. حكاية الجد سرحان.. الذى ظهرت له الجنية فى ليلة

قمراء.. عند الساقية .. وهو يروى الحقل .. وقالوا أنها تزوجته بعد ذلك.

لم لا تكون أمه واحدة منهن؟ فكر ملياً.

غريبة هي دائماً.. فى لبسها.. طريقة أكلها.. تصرفاتها.. حتى أصناف الطعام التى تعدها.. تكاد تكون علاقتها بالجيران معدومة.. لا تشعر بالألفة ولا بالتفاهم مع أحد.. أياً كان ومهما كان.. حتى زوجها كأنه غريب عنها.. ظلت نافرة منه حتى ملها ومل الحياة معها فهجر البلدة والوطن.

« ياااه الوقت سرقنى .. بس عملت الى نفسى اعمله من زمان » نهضت هامسة.

« ماما ماما.. انتى بتكلمى نفسك؟! » صاح الولد.

« انت هنا يا حبيبى .. تعالى شوف ماما عملت ايه .. انا حنطت التعبان عشان متخافش منه؟! » قالتها منتشية.

ولم يفهم الصغير معنى الكلام .. لكنه على أية حال ظل على عناده وفزعه .. وأسرع يعدو نحو الخارج.

لم يكن الخروج من البيت بأكمله كافياً بالنسبة للولد .. لكنه أخذ يجرى ويجرى .. يطوى الأرض وتطويه .. لم يأبه بالنار التى تضطرم فى

أعماقه رغم أن الشمس بدأت تلملم سياطها الحامية استعداداً للرحيل.

تنبه قليلاً ليجد نفسه في بيت الجد بقرية مجاورة.. وقد تملكته تلك الفكرة المجنونة التي احتلت خاطره منذ قليل .. عن الجن والعفاريت .. وأمه التي ربما تكون واحدة منهم.. سقط مغشياً عليه.. وعندما أفاق كان قد أيقن تماماً.. أن أمه لا بد جنية من تحت الأرض.

روى الصغير روايته للجد والجددة والأعمام بأنفاس متقطعة لاهثة.. نام بلا إرادة في حضن الجددة الحنون وعلى شفثيه بقايا كلام.. وبين الفينة والأخرى ينتفض مفزوعاً.. متمماً بكلمات متداخلة.. وأحرف مهروسة عن الثعبان.. والعفاريت وأمه الجنية.. بينما دار الحديث همساً بين الجلوس.

تفرق الجمع بينما ظل الصغير يعاني نوبات الفزع.. والتمتمة المتلاحقة التي تنغص عليه نومه.. فجأة استيقظ صارخاً.. تشبث بالجددة بقوة.. جعل يبكى ويتوسل إليها ألا تعيده لأمه الجنية مرة أخرى.. والجددة تهدئ من روعه.. وتطرد عن مخيلته تلك الأفكار الخبيثة.. وتؤكد له أن أمه إنسانة مثلهم.. وأنها طيبة وتحبه جداً.

» لا يا جدتي.. انا شفثها على حقيقتها.. في الاوضة الفاضية.. الى

فى آخر البيت.. كان شكلها غريب.. انا خايف منها.. مش عاوز اروح هناك تانى» قال الولد مرتعداً.

حارت الجدة ماذا تفعل .. هى على يقين بأن الولد على حق.. فأمه مربية بالفعل.. لكنها أمه على أية حال.

ثلاث ليالٍ خلت على غياب الطفل.. شعرت فيها الأم بأن عبئاً ثقيلاً انزاح من على عاتقها.. مالها هى والأطفال؟ مالها والمسئولية؟ مالها وتلك الهوامش البشرية حولها؟ مالها وهذا العصر بأكمله؟!

هل تحب هذه المرأة ذلك الطفل؟ سؤال تطرحه على نفسها فى كل حين.. شىء ما يربطها به.. تحبه أحياناً.. وتثور على ذلك الرباط أحياناً أخرى.. فهو ليس على شاكلتها.. لا طبعها ولا ملامحها.. حتى اسمه غريب عليها.. ودت لو أسمته «رام».. لكن الرجل الذى كان موجوداً لفترة قريبة فى حياتها.. أصر على ذلك الاسم الذى لا تعرف كيف دخل قائمة الأسماء ولا تدرك معناه.. هو لديها بلا معنى.. كما أن «رام» هذا لدينا الآن.. لا شىء فى الظاهر يربطها بالصبى غير ذلك الرباط الخفى الذى يعلمه كل الناس إلا هى .

حاولت مراراً التغاضى عن اسمه.. جاهدت أن تجعل منه ذاك الطفل الذى تريده وترتضيه طفلاً لها.. بيد أن الصغير لم يُرد إلا أن يكون «حمادة».. لم يُرد إلا أن يكون طفلاً عادياً ينتمى إلى هذا العصر .

بكل منغصاته وأزماته.

عانى الطفل كثيراً من شراستها في تحويله إلى مسخ لآخر في مخيلتها.. لا يمت إليه بصلة ولا لعصره الذي وجد فيه.. ولا حتى لعصور كثيرة ممتدة تسبقه.. وعانت هي الأخرى من فشلها في مهمتها.. ورعايتها لطفل غريب عنها وعن تكوينها وزمانها ومكانها.. كما تعبت من تمثيل دور الأم الذي لا تحسه.. ولا يلمس أوتار قلبها ومشاعرها.. وملت كلمات الحب الزائفة التي كانت تمطره بها لحظات توهمها الرضا.

اتفرغ لنفسى بقى.. كفاية كده» قالتها المرأة لنفسها وهي تمط شفتها السفلى وتمد عنقها إلى الأمام غير مبالية بشيء.

توالت الأيام على المرأة وهي مرتاحة لغياب الطفل لدى أسرة أبيه.. راقّت لها فكرة التحنيط أكثر.. فكرت أن تعيد الكرة مع مخلوق آخر.. لكن ماذا تختار؟ بدت متحيرة.. بطة أم أوزة أم عنزة؟ هي لا تملك ثمن العنزة.. هي تريد مخلوقاً لطيفاً ولا يكون مكلفاً.

«ماذا يكون المحنط القادم؟ البطة.. نعم هي البطة» جلست تتمتم في نفسها.

إنها محنطة بإتقان.. كأنها مازالت على قيد الحياة.. من أين أتتها هذه المهارة في هذا العلم؟ كيف اكتشفت مادة ولم يزل سره يحير

علماء الأرض؟

لغز هي محير.. فمن هي؟ لا أحد يدري غير أنها امرأة ريفية بسيطة تخطو فوق عامها الخامس والعشرين .. هجرها زوجها ملالة وانسل الابن خلفه مقتفياً آثاره.

مرت أيام كثيرة أخرى.. هبت بأعماق المرأة رياحاً باردة.. حملت لها بعض الحنين للصغير.. تمنّت لو يدخل عليها الآن.. تضع له طعاماً يتمرّد عليه ويدقّ رجله بالأرض.. أوحشتها البراءة في وجهه وأفعاله.

قطع عليها أمنياتها فجأة صوت ما .. طرقات طفولية غير منتظمة على الباب تصدر عن يد دقيقة.. تهبّ لها أنه أتى ملياً في التو.. وغاضت كل أمنياتها وتهيّأتها بمجرد أن فتحت الباب.

« ادخلي يا سلمى.. تعالى يا حبيبتي » قالت وهي تبتلع ريقها.

« قطني وقعت من السطح عندكم في البيت » قالت الصغيرة باكية. أشارت إليها بأن تأخذها من الداخل متمنية للقطعة السلامة.. غابت البنت بين الغرف والدهاليز الممتدة عبر البيت الكبير.. ثم عادت منفطرة من البكاء.

تناست المرأة كل شيء.. لم يعد يشغلها الآن سوى حكاية سلمى

بنت الجيران والقطعة التى ماتت.. قررت بينها وبين نفسها أنها ستكون المحنط القادم.

« كفاية عياط بقى يا سلمى.. خلى القطعة وروحي انتى دلوقت يا حبيبتى .. وتعالى بعدين ليكى هدية حلوة عندى» قالت المرأة وهى تربت على ظهر الصغيرة المنتحبة.. ثم دخلت تلك الحجرة بأعماق البيت الريفى الكبير.

ذاعت قصة سلمى وقطعتها فى البلدة والقرى المجاورة.. توافد الأطفال على المرأة.. لتمنحهم فرصة الاحتفاظ بحيواناتهم وطيورهم.. التى يحبونها ولم يكتب لها العمر الطويل.

بلغت سعادة المرأة بهذا العمل غايتها.. أخيراً اهتدت إلى ذاتها التائهة.. هى الآن راضية تماماً عن وجودها.. لم تعد تذكر شيئاً عن منغصاتها مطلقاً.. وهى تقوم بهذا العمل للأطفال.. وللجارات أيضاً بغرض تزيين بيوتهن المتواضعة.. بهذه المخلوقات المحنطة.

وجدت المرأة السلوى والعزاء عن غربتها فى هذا العالم.. لم تكن طامحة لأى شىء من وراء هذا العمل سوى تلك الراحة النفسية العظيمة التى تشعر بها وهى تقوم به.

وبمرور الزمن وتعاقب السنين.. تضاءلت الأحداث وتلاشت آثارها.. تقازمت الأخبار وانتفى تأثيرها.. انطمست دروب أدمت

قدماها زمناً طويلاً.. وانمحت شخوص وحوادث من ذاكرتها..
وشيئاً شيئاً جلب لها هذا العمل أموالاً كثيرة.. تبرعت بها مع كر
السنين أولاً بأول لأوجه الخير.. إلا ما يكفي حاجتها الضرورية
فقط.

وإلى جانب هذا كان لها شطحاتها المثيرة للدهشة والتساؤل..
فهى عليمة بكل شىء.. تفسر كل الظواهر وتفك كل الطلاسم..
حتى تلك المنقوشة على الأحجار العتيقة المنحدرة من عصور
سحيقة.. تصف الأدوية وتعالج الأمور المختلفة بحكمة غير
معهودة.. لديها الحل لكل المحن والأزمات التى تمر بها البلاد..
تتكلم فى السياسة.. الطب.. علم النفس.. المنطق.. الفلسفة..
الاقتصاد.. الفن.

تنقش ببراعة تلك النقوش الفرعونية الموجودة على جدران
المعابد والمقابر.. تزين بها الحوائط والأشياء لديها.. تصنع تماثيلا
صغيرة من المواد المختلفة بدقة الفنان المصرى القديم.
تعشق الشعر وترتجله فى كل حين.. وتذوب عشقا لمصر..
ثراها.. نيلها.. شمسها.. هواها.

« لا أحد يعرف مصر أو يحبها مثلى! » تقول فى كل لحظة.

مضى الشباب بالمرأة ويبدأ إلى الكهولة.. ومنها سريعا إلى

الشيخوخة.. وأسرع إلى ما يشبه الخرف .

ضممر جسمها حتى صار مثل عود القصب الممصوص.. ولم تزل غريبة كما هي منذ أن عرفها الناس ودرجت بينهم.

تناقل الناس لسنوات بعدها قصة فاطمة.. تلك المرأة الريفية التي عاشت وماتت دون أن يعلم أحد على وجه الدقة حكايتها.. وبجوفها سر دامت على مر الأيام تحتضنه.. حقيقة باتت تسكنها.. إيمان كامل عاش العمر يغمرها.. هاتف يناديها ويسمعها.. صورة ترتسم أمام عينيها في وضوح النهار جلية.. ملكة فرعونية كانت تحكم الوجه البحرى فى زمن مضى اسمها رويتا.



oboiikan.com

(٨)

عندما يجف النوار

كانت مفاجأة مذهلة عندما رأيته وهى مارة
بجوار مسجد الإمام الحسين بالمصادفة.. تسمرت
قدمها.. لم تصدق عينيها عندما عكست لها
صورته.. لكنها تعرفه جيداً.. تغير مظهره العام
كثيراً.. لكن ملامحه نفس الملامح لم تزل.. غريب
الأطوار هو الآن حقاً.. لكنه هو.. لا يمكن أن
تكون مخطئة.

يرتدى جلباباً أبيض وعمامة خضراء.. يمسك
بيده مسبحة طويلة بها حبات كثيرة.. يتمتم
بكلمات غير مفهومة.. كأنه شخص آخر تماماً غير
الذى تعرفه.. لكنه هو.

«أستاذى.. أستاذى» اقتربت حثيثاً ولم تجد منه
رداً أو اهتماماً. روادها إحساس للحظة بأنها قد

تكون مخطئة بالفعل.. اتهمت ذاكرتها بالوهن والخرف.. حاولت أن تعبره وتتناسى الأمر.. لكنها فى نفس اللحظة عادت مصرة أكثر من ذى قبل أنه هو.

« أستاذى » همست من جديد.

« تقصديننى يا ابنتى ؟ » التفت إليها فى هدوء شديد.

غزتها فرحة عارمة ممزوجة بحزن عميق.. الصوت هو الصوت.. لكن ماذا جرى؟

« نعم أقصدك أستاذى محمود » لملمت شتات نفسها هامسة.

« أنا عبد الله يا ابنتى ».

« أأست الأستاذ محمود الصحفى الكبير والأديب المبدع؟ »
تغيرت ملامحها متسائلة.

« سامحك الله يا ابنتى.. الكبير هو الله.. والمبدع هو الله » قال مستنكراً.

« بل أنت هو.. أنا متأكدة » قالت مصرة بحزم.

« وهل فى الدنيا حقيقة واحدة أكيدة سوى الموت .. وهل أنت متأكدة من ذاتك ؟ هل أنت أنت حقاً ؟ أم أنك غيرك ؟ » قال مطأطأ رأسه فى خضوع وانكسار لم يكن يعرفه من قبل.

هز رأسه وتمتم بكلمات لم تفهمها.. وهمّ بتحويل وجهته راجياً
إياها أن تدعه وشأنه.. فلا حاجة له بتلك المهارات التي لم يعد يتسع
صدره لها.. مكرراً دعاءه لها بالهداية مرات.

انصرف تاركا مشاعرها مذبوحة.. تئن بين جوانحها الآهات..
تجول بخاطرها السنين.. عادت بها الذكريات إلى الوراء كثيراً.. أيام
كانت طالبة بالثانوية العامة بالبلدة الصغيرة.. كان يخطو أولى
خطواته على طريق النجاح والشهرة.. بعد أن ترك البلدة ورحل إلى
معشوقته القاهرة المعز.. وجهة كل أبناء الأقاليم الموهوبين.

لم يكن الفارق بينهما في السن يتعدى السنوات العشر.. جمعهما
عشق الصحافة والأدب.. والإيمان بنفس القضايا والمبادئ..
قرأت كل ما كان يكتبه.. واحتفظت بكل أعداد الجريدة التي
تحترمها وتقدر رسالتها.. والتي تمنى أن تعمل بها بعد تخرجها.

تدربت تحت إشرافه في نفس الجريدة أثناء دراستها بالكلية..
لكن القدر لم يسمح لها بتحقيق بقية الأمنية الغالية.

عملت بجريدة منشأة حديثاً صارت قلعة صحفية بمرور الوقت..
كان أول موضوع لها في تلك الجريدة هو حوار معه بمناسبة حصول
روايته الأولى على جائزة أدبية رفيعة.

حوار وصفه الجميع بأنه رائع.. لفت أنظار القراء إليها.. وكان

سبباً في إرساء قواعدها بتلك الجريدة الجديدة.

شعرت بدمعات ملتهبة تلسع خديها.. شعلة حماس هو كان..
تمنت لو تصبح شرارة واحدة منها.. زهرة دائمة العبير والرونق.

تنهت وإذا به قد تبخر من المكان.. وكل المخزون الشعوري
لديها يؤكد أنه هو.. كل التفاهم والتواصل الروحي يصرخ «هو»..
كل الروابط الإنسانية النبيلة تنادى من أعماق سحيقة «هو».

«كيف هانت عليه نفسه؟ كيف هانت رسالته السامية التي ترك
بلدنا الجميلة من أجلها؟ كيف خمدت به شعلة الحماس؟ كيف خبا
وهج الإبداع؟ كادت تفتك بأعصابها الحيرة والتساؤلات.

«نحن لم نُخلق عبثاً.. لابد أن هناك ما خلقنا من أجله.. وليس
أعظم من أن يحدد المرء هدفاً يسعى جاهداً لتحقيقه.. وينتفى لشيء
يموت لأجله.. وإلا فما جدوى الحياة إذن؟!» طنت بأذنبا تلك
الكلمات التي قالها في ذلك الحوار البعيد وارتفع رجوعها لدرجة لم
تعد تحتملها.. بينما تدور بقية الحوار غير مرتبة في مخيلتها.

تذكرت آخر مرة حدثته فيها وكانت عبر الهاتف.. كان وقتها بصدد
الانتهاء من روايته الجديدة.. وكان عام مضى على إغلاق الجريدة التي
كان يؤدي رسالته من خلال منبرها.. كان محبطاً جداً.. حزيناً جداً.

حزن من نوع غريب لم تألفه فيه أبداً.. حتى عندما سجن كان يبدو

سعيداً راضياً عن تلك الضريبة التي يدفعها في سبيل إيمانه بمبادئه.

لم يكن وقف الجريدة عن الصدور هو قضيته بقدر ما تساءل لم؟

لم تُصادر صحيفة؟ لم تُقصف أقلام؟ لم تعطل طاقات؟ لم تُكتم

أصوات؟!

لم يقبل عرضاً واحداً من العروض التي انهالت عليه لصالح صحف أخرى.. اعتزل الصحافة واعتزل الناس.. اعتزل كل شئ في الحياة حتى القلم والأوراق.

مزق كل أعماله الأدبية التي في طور النضج.. ليبقى رصيده الأدبي متوقفاً على رواية وحيدة ومجموعة قصصية وحيدة أيضاً.

مر وقت طويل بعدها ولمحتة بالمصادفة في إحدى الندوات الأدبية.. لكنها لم تحدثه طويلاً لانشغالها في تغطية الندوة.. وذاب كل منهما وسط الزحام بمجرد تبادل السلام والتساؤلات السريعة عن الصحة والأحوال.

علمت من زميل لها حضر الندوة منذ البداية أنه تم مناقشة روايته ضمن الأعمال تحت الطبع.. وتنبأ المتحدثون أنها ستكون حدثاً مميزاً له صداه الواسع في الأوساط الأدبية.. فهي تأريخ أدبي راق لفترة مهمة جداً من تاريخ الوطن الحديث.

أخذتها دوامة الحياة.. ونسيت هذا اليوم كما نسيت أياماً وأناساً
وأشياء كثيرة.. الآن فقط تذكرت كل شيء.

« ولكن ماذا حدث؟ هل مُنعت روايته من النشر؟ هل صودرت؟
هكذا في الخفاء دون أن يعلم احد؟ هل هذا ممكن؟» تساءلت في
نفسها دون أن تحظى بإجابة.

الإجابة لديه فقط.. ولكن أين ذهب؟!

تلفتت حولها في كل اتجاه.. اصطدمت عيناها على بُعد أمتار قليلة
بهيئته.. كان قد انضم إلى جماعة من الدراويش يلبسون نفس الجلباب
ويمسكون ذات المسبحة.. تحلق الجمع وعلا ضجيجهم منذ فترة.. لكنها
لم تفتن لهم.

أخذ الجميع يصفق ويطيح برأسه في الهواء يميناً ويساراً..
يرددون كلمات وأشعاراً غريبة.

وجدت نفسها غارقة في بحر اللاجدوى.. لم يكن أمامها إلا
المضى إلى حيث كانت تريد قبل أن تقع عيناها عليه.. وبخطوات
كسيحة بدأت تتعد عن المكان.. وفي ذهنها تدور أحداث روايته
الوحيدة « أرض الله ».. تتجسد أمام عينيها صورة بطلها الفيلسوف
المثقف.. الذي انتهى به المطاف إلى مجذوب يركب حصاناً من
الحطب.. ويدور هائماً على وجهه في البلاد.

(٩)

شتاء بارد جداً

الرياح تعصف بأوراق الشجر.. وبقايا مناديل ورقية.. خلفها على الرصيف غير الحريصين على نظافة مدينتهم.

الغمام الكثيف القاتم يغطي لجّة السماء.. إلا فراغات قليلة شاحبة.. حتى إنه لم يدرِ برحيل الشمس المحتجة.. إلا عندما ترامى إلى مسامعه آذان المغرب.

كان يمضى بلا هدى.. أو هدف محدد.. إلا أنه يعشق كورنيش النيل.. وبخاصة في هذا الوقت من النهار.. يسترق بعض الوقت.. المشحون بالعمل على الدوام.. يمارس هواية غريبة.. مثله تماماً.. لكنها محببة لديه منذ زمن طويل.. وبمجرد خروجه من مكتبه.. ينعزل كليةً عن كل شىء.. أى

شيء يذكره بالعمل.. فقط هذا الوقت لممارسة هوايته الاثيرة..
الشروود مشياً.

لم تشغله حالة الجو غير المستقرة طوال اليوم.. والتي أسفرت
عن يوم سىء جداً بكل المقاييس.. وبوادرها التي تنبىء بليلة ليلاء..
مطيرة.. قارسة.

إلا أنه تذكر للحظة زجاج نافذة غرفة نومه المكسور.. وكان لا
يتذكر ذلك إلا عندما يأوى إلى فراشه في الهزيع الأخير من الليل..
فيسب استهتاره ويلعن فوضويته.. وهو يحكم إصاق ورقة الجريدة
على الجزء المكسور.

انقضى الشهر الأخير من الشتاء الماضى.. وهو يفعل ذلك كل
ليلة.. ويقسم أن أول شيء يفعله في الصباح.. هو استبدال هذا
الزجاج المكسور.

ويعود إلى فراشه في الهزيع الأخير من الليل.. يسب استهتاره
ويلعن فوضويته.. وهو يحكم إصاق ورقة الجريدة على الجزء
المكسور.

لا يدري لم يتجسد أمام عينيه هذا المشهد الآن.. لكنه ضحك
بفتور.. وتجاوزه سريعاً إلى لاشيء.

فجأة فُتح باب سيارة فارهة.. كانت قد أبطأت منذ لحظات بينما هو غارق في شروده.. دُفع بقوة داخلها بين رجلين عملاقين.. وأمام مبنى يعرفه جيداً توقفت السيارة.. حمله الرجلين من الجانبين بنفس القوة التي دفعاه بها داخل السيارة.

وفي مكتب تشبه ديكورات السحر.. ويقارب جوه تلك العوالم الأسطورية.. التي يسمع عنها في حكايات ألف ليلة وليلة.. وجد نفسه في مواجهة معه.

تقدم إليه صاحب هذا الهيل والهيلمان بضع خطوات.. تاركاً من فوره مجلسه على مكتبه الوثير.. بدا مبتسماً « أهلاً بالصحفى الهمام » قالها ماداً يده للمصافحة.

- لا أضع يدي في يد وضعت في يد الصهاينة.

- سياسة يا أبو صلاح.

- آسف يا سيادة النائب!

« مد يدك يا رجل .. لا تكن صعيدياً » قالها النائب مماًزحاً.. لكن الصحفى صعيدى الأصل ظل مصراً على عدم المصافحة.

« أهون علىّ قطع يدي من أن توضع في يدك » قالها جاداً مقطباً.. ثم أردف بنبرة أكثر جدية وصرامة « ندخل في الموضوع أفضل »...

كظم النائب غيظه.. وحجب زفرة كادت تخرج رغماً عنه.. قال
مراوغاً:

- لا موضوع ولا غيره.. فقط أردت أن أراك يا رجل

- بهذه الطريقة؟!

- دعوتك مراراً ولم تُجب.. قلت أداعبك

- مداعبة مقبولة.. أية أوامر أخرى؟!

- لم كل هذه الحدة يا أبو صلاح؟ علمى عنك أنك لطيف ومرح.

- في أى شىء إلا مبادئى وحق وطنى يا سيادة النائب

جعل النائب يحكم لجام غضبه.. ويكبح جماح ضجره.. حتى لا
يفسد المقابلة.. التى قد تسفر عن هدنة ولو مؤقتة.. يكتشف من
خلالها مدخلاً لهذا الصحفي.. الذى ينبش تحت أقدامه.

- مبادؤك على العين والراس.. كل الحكاية أننى أود مساعدتك
للحصول على شقة فخمة.. تليق بمكانتك يا بطل.

يصمت صلاح برهة ظنّها النائب تفكيراً فى العرض.. ولم يهتم
صلاح بما يدور فى خلدّه.. تذكر محاولاته السابقة لرشوته بشتى
السبل.

اهترأت أحذية الوسطاء فاعلى الخير « سنخصص لك إعلانات قيمتها مئات الآلاف من الجنيهات .. ملايين إن أحببت ».

وتمضى الأيام يتضخم العرض أكثر « سيساعدك الباشا فى امتلاك قطعة أرض تعجز عيناك عن مسحها .. تدخل بها فى قائمة الحيتان »...

« ستجوب العالم مع الباشا ».

عروض عظيمة لولا أنه فقير .. يتسم قليلاً . « أتعبتنا يا أخ صلاح .. هات ما عندك .. أحلامك أوامر .. فقط كن متعاوناً » قالوا ضجرين بعدما يسوا من جدوى الكلام.

دار كل هذا سريعاً متلاحقاً فى خلده والنائب يحاول رشوته للمرة الألف.

عاد من صمته مهرولاً « اسمح لى بالانصراف »

- ليس قبل أن أقدم لك أية خدمة.

- صدقنى يا سيادة النائب .. ليس لى خدمات عندك.

- عموماً أنا تحت أمرك فى أى وقت .. وأى شخص من طرفك سيلقى نفس الاهتمام

مضى الشاب الصعيدى .. نحيف الجسم .. أنيق المظهر .. فارع

الطول.. بملاحة ممزوجة برجولة وحزم تكاد تنطق بهما قسمات وجهه المصرى الاصيل.

تقدم بخطى سريعة نحو باب المكتب.. ابتلعه طرقة طويلة..
مُفضية لصالة كبيرة مخصصة للاستقبال قطعها في لحظات.. اسرع
مارقاً من الباب الرئيسى للمبنى.. متناسياً كل ما قيل وكل ما كان.

صباح قلق مثل كل صباحاته منذ أن بدأ الصحفى صلاح عبد
العزيز حملته الصحفية ضد ممارساته المريبة.. لم تعد قهوة الصباح
السادة ذات نفع.. ولا أقراص الأسبرين.. مع هذا الصداع الكامن
برأسه منذ شهور.. لم تعد الحياة كلها ذات لون.. أو طعم منذ ذلك
الحين.

فتح الجريدة على تخوف حديث العهد بذاته المتعجرفة.. ندت
عنه زفرة ملتهبة كادت تحرق الجريدة في يده.

لم يطق صبراً على قراءة الكلام المكتوب عنه.. صاح بهياج وهو
يقذفها في وجه مدير مكتبه «هاتولى الزفت ده»

للمرة الثانية خلال أسبوع يجد صلاح نفسه في مكتب النائب إياه
رغمًا عنه.

لم يختلف استقبال النائب له كثيراً.. لكنه قرأ في عينيه شراً

مسطيراً.. إن لم يستجب له هذه المرة.. التى وقر فى يقينه أنها الفرصة الأخيرة.

- يا صلاح .. يا ابنى .. لماذا تريد تشويه سمعتى؟ هل أذيتك فى شىء؟

- بل قتلتنى مرات!

- كيف؟ قل لى وسأفعل أى شىء من أجل تصحيح الخطأ .. وفوراً.

- ليتك تفعل!!

- سأفعل.. سأفعل.. أقسم بشرفى!

- الصهاينة.

- تانى؟

- وتالت.. ورابع.. ومليون.. وإلى ما لانهاية.

- يا ابنى .. يا ابنى افهم.. هذا شغل.. شغل.. شغل.

- هلاك الناس الذين أولوك ثقتهم وأعطوك أصواتهم شغل يا سيادة النائب؟ تدمير الاقتصاد القومى شغل؟ اليهود الذين تأتى بهم لمزارعك الشاسعة التى هى عماد هذا الاقتصاد شغل؟ الأدوية

والمبيدات المسرطنة.. الأمصال الملوثة بالاشعاعات والفيروسات
المهلكة شغل؟!

- يا ابني .. يا ابني افهم وارحني .. هؤلاء الناس متقدمون جداً في
الزراعة.. ونحن نستفيد خبراتهم وتقدمهم هذا.

- وهل عقلت البلد يا سيادة النائب المحترم؟ لدينا أكفأ
الخبرات في كل المجالات .. لكن أمثالك يضطرونهم إلى النفاد
بعلمهم وجلدهم إلى الخارج.. أو القنوع بالحسرة وخيبة الأمل.

نفد صبر النائب.. وفقد السيطرة على أعصابه.. صاح بلا وعى »
أتعبتني يا زفت انت.. اسمع ودعك من هذه المهاترات الغبية..
كلمة واحدة لن أكررها.. ابعد عن سكتي وإلا...»

بهذه الجملة الأخيرة اتضحت الرؤية.. وصل الغضب بالنائب
ذروته وارتبك كل شيء.

« لا يأخذ الروح إلا خالقها» تتمم صلاح وهو يغادر المكتب.

ساد التوتر جو المكتب طويلاً.. والنائب ينفث دخان السيجار
بطريقة عشوائية مضطربة « الحق علىّ أنا .. صبرت عليه طويلاً.. ما
كان يجب أن أفعل هذا» نادى حاشيته: «تصرفوا».

تناسى صلاح كعاداته.. كل ما كان وكل ما قيل.. بمجرد خروجه

من المبنى.. حتى ذلك التهديد الصريح.

جعل يرتب مستنداته الخطيرة .. التى حصل عليها من مصادر سرية جديدة.

بدأ يعد تحقيقه القادم للنشر بالوثائق والمستندات.. والذى سيكون المسمار الأخير فى نعش النائب.. خائن الوطن.

شعر بدوار عارض .. تذكر أنه لم يأكل شيئاً طوال اليوم.. طوى أوراقه وهبَّ واقفاً « مجنون يا ابو صلاح » حدّث نفسه وهو ينظر فى ساعته مكتشفاً أنها قاربت الواحدة صباحاً.

أغلق خلفه باب مكتبه بالجريدة وهو يتمتم بينه وبين نفسه « سخيف أن يتحمل الرجل مسئولية مأكله ومشربه.

يضحك متهكماً « وغسيل الأطباق .. والملابس .. والبلاط أحياناً ».

هل نسى نفسه إلى هذه الدرجة؟ صحيح هو لا يهتم بعمل أعياد الميلاد.. ولا يُذكره أحد بأعوامه .. التى تفر من عمره الواحد تلو الآخر فى سرعة رهيبية.

لكنه تذكر فجأة سنة مولده.. ياااه.. لقد تخطى الأربعين منذ ثلاث سنوات وهو لا يدري.. هكذا؟ ما أسرع عدو الزمن حين

ينسأه الإنسان.. إن لنفسه عليه حق.. لم يهمله؟ لا يدري.

فرغم رومانسيته الخفية لا يذكر مرة أنه أعجب بفتاه.. أو غازلها.. هو لا يعشق إلا وطنه.. وعمله.. لا يغازل سوى أوراقه.. لم يعرف في حياته قط إلا الكلام الجاد الموزون.

توقف تفكيره لحظة « لم لا أتزوج؟ » فكرة لم تخطر له ببال من قبل.. قد يكون آن أوأنها.. بل تأخر كثيراً.

هو ليس مغرماً بالمرأة على أية حال.. لكنه في هذه اللحظة تحديداً يفكر جدياً في الارتباط.. قد يغير رأيه بعد لحظات.. أو على الأكثر بعد أن يتناول وجبة جاهزة.. خفيفة جداً.. يأخذها من السوبر ماركت وهو في طريقه إلى السكن.

وقد ينسى أنه فكر في هذا الأمر مطلقاً.. بعدما يسب استهتاره.. ويلعن فوضويته.. وهو يحكم إلصاق ورقة الجريدة على الجزء المكسور من زجاج نافذة غرفة نومه.. ويتمتم وهو يفرد الغطاء المكون في وسط السرير على جسده المقتول تعباً « أفضل ما في هذه الحياة ألا يشاركك أحد سريرك ».

انتحى جانباً إلى اليمين.. مندهش هو وسعيد في الوقت ذاته بفكره الجانح نحو الارتباط.. لأول مرة في حياته.

فجأة وجد نفسه مدفوعاً كالقنبلة داخل السوبر ماركت.. الكائن

على الناصية المقابلة لمسكنه.. وآخر ما علق بعينه صورة سيارة منطلقة كالريح.. كانت تقصد فرمه وهو يعبر الشارع.

وكمن يحرص على قراءة الحظ كل صباح.. يحرص النائب على تفتيش جريدة المعارضة الأهم والأوسع انتشاراً صفحة صفحة عن موضوعات صلاح.. التى أصبحت وحدها تطير النوم من عينه.

« ترى ماذا فى جعبتك اليوم يا صعيدى يا.... » يتمم النائب وهو يقلب عينيه بين الصفحات فى عجل وارتباك.

وقبل أن يتم سبابه المعهود كلما أمسك بالجريدة.. جمدت الكلمات على لسانه.. كارثة لم تكن فى الحسبان.

« يا زفت أنت وهو » يصيح فى ذهول.

يدخل الأذنان مطأطئى الرؤوس كأنهم يساقون إلى جبل المشنقة.

« أغبياء .. أغبياء » يصرخ فيهم بلا وعى.. يحاول أحدهم الكلام.. لكنه لم يسمح له بنصف كلمة.. أطبق أصابع يمينه تاركاً السبابة « اليوم آخر فرصة لكم.. هيا أغربوا عن وجهى ».

تهديد يعلمه كل واحد منهم كما يعرف أبناءه.. فالباشا وهم أعلم الناس به قرصته والقبر.

يختفى الجميع من أمامه فى سرعة البرق .. بينما هو جالس .. فى انتظار أن تستقر قدمه على الأرض .. وترتاح ساقه من تلك الهزات اللاإرادية العنيفة .. التى تكاد تذهب بعقله .

يثأب صلاح بعمق .. وهو يحاول أن يتنبه من نومه .. يهمس فى نفسه « اللهم اجعله خير » .. يسرع نحو الباب الذى يكاد ينخلع تحت أيدي الطارقين .. يدور بذهنه هاجس مريب عن أسرته بالبلدة .. وقبل أن يصل إلى الباب كان قد انفتح على مصراعية من شدة اللكم والركل .

« كتفوه » يقول كبير الأذئاب .

ينقلب المكان فى لحظات رأساً على عقب .

« انزعوا تلك الكمامة من على فيه » يزق الكبير مرة أخرى .

« ليست هنا » قالها صلاح مبتسماً بسخرية .

« تعرف إذن » رد الآخر فى حنق .

- بالطبع .

- أين هى ؟

لم يُجب صلاح وظل على سخريته مبتسماً .

« اقتلوه.. مزقوه إرباً إرباً.. ثم انسفوا به المكان » صاح الكبير هائجاً.

بدأ الأذئاب يستعدون لتنفيذ الأمر.. بينما يخطو هو سريعاً نحو الباب.

تراجع بضعة خطوات.. اقترب من صلاح.. جعل يتحسس الحبال المحكمة حول جسده المقيد في الكرسي « سأعطيك فرصة أخيرة.. ولن أكرر سؤالاً.. اين المستندات؟

« لم لا أراوهم.. نعم أحب أن أموت شهيداً.. بل أتمنى ذلك.. وأيضاً أحب أن أكشف مخططهم القذر وجريمتهم الشنعاء.. على ان أحاول » فكر برهة.

همّ صلاح بالكلام فسبقه الآخر « هه.. تكلم.. تكلم ولا تخف.. لن يمسك أحد بسوء.. أعدك بشرفي ».

شرفك.. هيء.. تفوووه « همس صلاح خلسة.. ثم قال ماكرأ » لقد وعدتني.

« جرب » أسرع الآخر مطمئناً.

بدا صلاح متردداً.. ثم حزم أمره:

- بعد الغد.. ستصلكم المستندات.. في مثل هذا الموعد.

- نريدها الآن..

- ليس بمقدورى الآن.. ولا فى الغد

- أين؟

- سأتيكم بها بنفسى.

- اتفقنا!

لملم الأذئاب شرهم .. أسرعوا نحو الباب.. تغزوهم نشوة النصر.. بينما صاح صلاح مسرعاً « نسيثوا شيئاً مهماً.. أعتقد هذا » وأوماً برأسه إلى جسده المقيد بالحبال لم يزل.

تبادل الجميع وهو معهم ضحكات صفراء وأسرعوا يفكوا قيوده.

« يا أولاد الهرمة » قالها صلاح وهو يتحسس أماكن الألم من جسده .. ثم أردف عاقداً العزم على الانتصار هذه المرة « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ».

فلحوا فى سرقة مستنداته فى المرة الماضية .. منذ أكثر من العامين.. زجوا به إلى السجن أشهر طويلة بتهمة السب والقذف والتشهير.. حاربوه بعدها طويلاً.. فرضوا على قلمه الحظر إلى اجل غير مسمى.

جبروت يمكنهم من إغلاق الجريدة.. وتشريد العاملين بها.. من هدمها على رؤوس من فيها.. من نسفها عياناً بياناً.. دون ذرة خوف من أحد.

لم يتم إعادة ترتيب الأشياء داخل الشقة على ما كانت عليه.. ولم يشغل باله بهذا مطلقاً.

فقط أخذ حماماً بارداً كعادته صيفاً وشتاءً.. أكمل شياسته وهندامه.. وذهب في متهى الهدوء إلى مكتبه بالجريدة.

غريب هو لا يبالى بأى شىء فى الحياة سوى عشقه لوطنه.. وكرامته.. ومظهره الذى يبدو دائماً غاية فى التألق والهندام.

مضت ساعات الغد بطيئة.. ثقيلة.. على النائب وأذنبه.. عادية جداً على صلاح.. وجاء بعد الغد المرتقب.. وحان الموعد.

استيقظ من نومه نشيطاً.. يفرد ذراعيه ويشنهما فى ارتياح كبير.. ينم عن أنه نام بعمق.. بعد أن استبدل زجاج النافذة المكسور أمس.

تذكره أخيراً.. فثمة فائدة للأذنان أحياناً.. عندما يجتاحوا الأماكن كالثيران الهائجة.

توقع أن يأتى الهاتف بأنباء ينتظرها على أحر من الجمر.. منذ أن ذهب موضوعه الأخير إلى المطبعة.. ربما هذا ما جعله يستيقظ

مبكراً على غير عادته.

بيد أن الهاتف لم ينبس برنة.. ورغم ذلك ورغم تذبذب ثقته في عدالة الأرض.. ظل يجهز نفسه لسماع تلك الأخبار المنتظرة.. ويتدرب على رد الفعل الذي سيصدر عنه في هذه اللحظة.. التي كاد يدفع عمره ثمناً لها.. ولم تزل حياته رهناً بها.

توقف تفكيره فجأة.. ظلت يده ممسكة بمفتاح المذياع.. وصوت قارئ الأخبار يجلد مسامعه « والوزراء الجدد هم » مضى وقت طويل لم يستعد توازنه.. ويللم شتات نفسه المشردة.

كان يعلم قبل ذلك أن البعض فوق القانون.. الآن فقط آمن أنه لا قانون.

لملم أوراقه ومتعلقاته الشخصية مع بقايا شتاته.. وجهز نفسه لرحلة يعتادها.



(١٠)

الدبك الذهب

كانت الأرض السبخية تتقد تحت قدميها
الصغيرة.. وحرارة الشمس الفائضة تكاد تشعل
بدنها النحيل.. بينما كان يضيفي الصمت المريب
علي المكان جواً أسطورياً مرعباً.

تتحسس الصغيرة الأرض الوعرة تحت قدميها
بحذر فطري.. خوفاً أن تنزلق فجأة في إحدى
الحفر.. المنتشرة علي امتداد التل الأثري.

يبدو شعرها الأشقر الخفيف شاحباً.. بينما
تشتعل وجنتاها تحت أشعة الشمس المحرقة.

يعلو وينخفض مستوى رأسها.. وتختفي
لحظات كثيرة.. تبدو شبحاً مرعباً وسط هذا
المكان المهجور.. الذي نادراً ما يعبره أحد.. فقد
كان الناس يرهّبونه وينسبون إليه الخرافات

والأساطير العجيبة.. قالوا إنه مسكون بالعفاريت ذي العيون الحمر والقرون المدببة.. أكدوا أنهم رأوها رأى العين.. ومنهم من أقسم علي ذلك.. وصفوا بعضها بالطويل جداً الذي يصل إلى قبة السماء.. وبعضها بالقصير جداً الذي لا يكاد يُرى.. وبعضها بالأسود الغطيس..

كانت الصغيرة مسكونة بحكايات الأجداد الجميلة.. التي تربت عليها الأجيال هناك في القرية البعيدة.. الواقعة على الحدود الشمالية للبلاد.. والتي كانت جزءاً من تل أثري شاسع.. سمعت عن هؤلاء المحظوظين الذين عثروا علي كنوز الفراعين.. من مساخيط وعملات ذهبية وخلافه.. التي حفظتها لهم الأرض الطيبة من الزمن البائد.

هناك في القرية الصغيرة عشقت حدوة الديك الذهب.. الرابض شمال مقبرة القرية.. في الجهة القبليّة من التل الأثري.. والذي لا يظهر إلا وقت الظهيرة.. لحظة تعامد الشمس علي الأرض تماماً.. يخرج من بيته الحجري.. الكائن تحت الأرض بأمّتار.. يقف علي كتلة صخرية كبيرة أعلي ذلك البيت.. يصيح صيحة واحدة فقط.. ثم يعود إلي مكمنه.

قالوا هو ديك ضخم من الذهب الخالص.. من يلمح هذا الديك

المسحور ولو بطرف عينيه .. يسعد بقية حياته .. وتهبط عليه ثروة عظيمة من حيث لا يدري .. تمتد آثارها إلى أحفاد الأحفاد.

حاول الكثيرون أن يتربصوا به ليفوزوا بتلك اللمحة لكنه كان يخيب رجاءهم.

وفي الخفاء تتسلل الصغيرة بحذر لتفوز وحدها دون سائر البشر برؤية الديك الذهب .. ويقينها أنه لن يخذلها وأنها ستراه يوماً .. بل وتصبح صديقه .. هكذا سارت إليه في كل مرة يحدوها الأمل.

تجمع في طريقها العملات البرونزية والنحاسية من العصور المختلفة .. دون أن تدري ماهية تلك القطع الصغيرة .. المزينة بنقوش غريبة .. تزيج بيدها الرقيقة التراب المتراكم على الأواني الفخارية .. بحذر شديد حتي لا تنكسر .. تُخرجها بحنو وعطف .. وتقدير من يعرف معنى تلك الحضارة الكامنة تحت هذا التراب .. وقلبها الصغير عاجز عن احتواء سعادته .. تجلس ملياً تتأمل تلك النقوش المنمنمة علي هذه الأواني .. حتي يخيل للرائي أنها تقرأها .. وتعرف جيداً ما تعنيه هذه الرسومات الغريبة.

عثرت ذات مرة في التراب على تمثال صغير لأبى الهول .. يقرب وزنه من الكيلو جرام .. تحفة فنية وأثرية رائعة.

رفضت بشدة محاولة المساومة على بيعه .. من الرجل الذي يمر

كل فترة.. ليشتري تلك الأشياء التى يعثر عليها الناس فى هذا التل السخى .

أتى الرجل مراراً ورفضت هى على الدوام.

رجعت ذات مرة من رحلة التنقيب المعتادة .. لتجد أحد أطرافه قد كُسرت.. جعلت تبكى دون انقطاع .. بينما لا تجد والدتها سبباً لهذا البكاء الحار.. غير أنها قطعة من الحجر قد كُسرت.. ويجب أن تكف عن هذا البكاء وإلا ضُربت بعنف.

مرت السنون.. وكبرت الصغيرة .. وكبر معها عشقها للتل الأثرى .. رغم انقطاع رحلاتها التنقيبية إليه.. منذ أن شبت عن الطوق « البنت قطعة من أثاث البيت » هكذا تقول أمها دائماً...

بدأت تسمع كلاماً كثيراً عن العيب .. والتقاليد.. والعرف.. منعتها أمها من الخروج نهائياً إلا إلى المدرسة فقط.

لم يرق قلب الأم مرة لتوسلات ابنتها بشأن هذا التل الأثرى .. بل مجرد ذكره كان يفجر بداخل الأم بركاناً من الغضب.. والرعب على ابنتها من ذلك المكان المخيف.

حتى أيام كانت صغيرة.. لم تتعد سنواتها الخمس.. عندما كانت تتسلل من خلفها وهى منهمكة فى أعمال البيت.. لم تكن الأم تطيق

صبراً.. فتهرع مهرولة إلى هذه المساحة المخيفة من الأرض خلف القرية.. تنادى مذعورة على تلك الصغيرة المتعبة « لابد أننى سأجذك مقتولة فى هذه الخرابة يوما » تتمم الأم وهى تمسك بيد الصغيرة لتخرجها من حفرة انزلقت قدمها داخلها.

سنوات طويلة مضت على هذه الذكريات.. المحيبة إلى نفسها.. أصبحت شابة الآن بالسنة الثانية بكلية الآثار.. لكنها تحزن أبداً إلى تلك الأيام الخوالى.. قبل أن تحجب تلك البنايات الشامخة الرؤية.. ويختفى تحتها وخلفها التل الأثرى.. تعذرت الرؤية حتى من فوق سطح المنزل.. الذى ارتفع هو الآخر بمحاذاة تلك الكتل الخرسانية الضخمة.. التى غطت سطح التل عن آخره.. والتي تربض أسفلها الورش والمحلات وصالونات الحلاقة.

شئ ما يدعوها إلى البكاء.. للصراخ بأعلى صوت.

اليوم مليئة هى بتلك بالذكريات.. مشحونة بكم لا يقاوم من الحنين.. يمر عمرها كشريط سينما أمام عينيها.. تود لو تهيم على وجهها خلال هذه الكتل الخرسانية الصماء.. تود لو تهشمها.. تدمرها.. لو تصرخ.. وتصرخ.. وتصرخ.

« لم كل هذا التعدى البشع على عصور.. وحضارة.. وخصوصية أناس لا يملكون الآن من أمرهم شيئاً.. لا يقدرّون على الدفاع عن

حضارتهم المهذرة تحت هذه الجرافات والمعدات القاسية؟!.

عشق قديم لذاك التل الأثرى دفعها إلى الالتحاق بكلية الآثار..
نفس العشق القديم يدفعها الآن إلى هذا الصراخ والانهار.. للشجب
.. للإدانة.. لأشياء عديدة.. تود لو ترتبها الآن في فكرها.. لولا
حالتها النفسية السيئة.

عرفت من خلال دراستها للآثار أن الذي أغرمت به في طفولتها..
ودامت تسمع حكاية المسلية.. وباتت تحفظها عن ظهر قلب..
وترويها بلا ملل علي مر السنين.. اكتشفت أن تلك الحدوة الجميلة
ما هي إلا مجرد أسطورة.. لا يعلم حتي علي وجه التقريب من
نسجها.. ولا أي عهد خرجت هي من رحمه.. غير أن الجميع يتعاطي
تلك الأقصوصة الرائعة.. التي شكلت وجدان أجيال سابقة
ورسمت تفاصيلها المتناغمة مشوار حياتهم.

فهذا الذي أغرمت به منذ نعومة أظفارها كان هاماً رائعاً من
العصر الروماني.. وليس بيتاً لديك الذهب المزعوم.
« يا ترى لديك الذهب لسة مكانه يا ماما » قالتها بلا إرادة أو
ترتيب.

مفاجأة أدهشت الأم « انا ظنيت انك نسيتي الخرافات دي
خلاص.. انتي كبرتى دلوقت يا حبيبتى.. و لازم تكونى عاقلة اكثر

وتعرفى إن دى تخاريف مالهاش وجود.. حكايات اخترعوها زمان .. كانوا بيسلوننا بيها واحنا صغيرين».

أسرعت قائلة «مجرد سؤال فقط.. انا عارفة انه مفيش حاجة اسمها ديك دهب.. انا درست ده فى الكلية .. وعرفت الحقيقة».

وعندما فرغت الابنة من شرح حقيقة هذا الأثر.. الذى لم يقدره أحد ممن تعاملوا معه.. وجدت علامات السرور تعلو وجه الأم « سبحان الله .. العلم نور فعلاً» همست الأم مستريحة.. ثم أردفت قائلة « قالوا ان الرجل الى اشترى المكان ده فتت الكتلة الحجرية الكبيرة وبني مصنع تلج مكانها».

غامت الرؤية فى عيني الابنة طالبة الآثار.

« تبا للجهل.. سحقاً للغباء!» تمتمت بلا وعى .



oboiikan.com

(١١)

رؤيا

نعق غراب البين.. فهوت العاصمة الجميلة..
وأجوارها صرعى بين أيدي الخراب.. تكس
الجميع في مخبأ.. في جوف الأرض تحت المشفى
.. أزيز الطائرات يختلط بدوى القنابل ..
وانفجارات مرعبة بالخارج.. السماء تمطر وهجاً
وناراً مستعرة.

« نبوخذ نصر العظيم أين أنت؟ بابلك الجميلة
تُذك بأقدام الأغبياء.. عجيبة الدنيا الخالدة
تُطمس.. حداثتك الوارفة تذبل.. تشحب..
تجف.. تُسحق» تدوى صرخات المدن العزيزات
في آذان الكون.

« همورابي الحكيم .. قوانينك العادلة تُمحي من
الوجود.. تعاليمك الرائعة تدهس بنفس الأقدام

الغبية.. آه لو سابق العهد يعود!» تموج المدن غضبى نائرة.

دُكت الحصون والقلاع .. حُصدت أرواح الأبرياء .. نساء..
شيوخ .. أطفال .. لا يهتم .. لا فرق .. لا رحمة .. لا ضمير.

مجرد غارة اعتادها أهل البلاد من العدو.. تتكرر مراراً ودائماً..
ويمضى الحال من سئ إلى أسوأ.. اختلطت الدموع بالدماء..
والأنقاض بالأشلاء.

« إلامَ هذا الدمار؟! » صرخت القلوب المكلومة.. ولا مجيب
لشعب يُياد وبلد يُحرق.. ولا حتى مجرد سامع.

تأوهت الأم الشابة.. التى لم تكد تضع مولودها الثانى حتى
تقفزوا بها وبالوليد.. إلى هذا المخبأ تحت مبنى المستشفى.. زفرت
متحسرة لهيباً أشد من ذلك المستعر بالخارج.. عاودها الإحساس
بالألم الداخلى فجأة بعدما همد كل شىء.. وخرست تلك الأصوات
الملعونة.. وخرست معها أصوات عزيزة وغالية إلى الأبد.

أشار إليها الطبيب الذى أجرى لها عملية الولادة القيصرية أن
تهدأ.. مؤكداً أن العملية تمت بنجاح ولا داعى للقلق مطلقاً.. وعليها
أن تحمد الله كثيراً.. فقد كتب لها عمراً جديداً.. دقائق فقط كانت
الفصل بين الموت والحياة لو تأخروا.. بينما تبدو غير متذكرة تماماً
من هول ما حدث.. أنها كانت فى غرفة العمليات منذ وقت قصير.

لا تدري «رؤيا» لم مر هذا المشهد أمام عينيها الآن.. تلك الأحداث المريرة .. التي جعلتها تستجيب لرغبة زوجها المصرى المُلحة بأن تأتى بالطفلين إلى مصر.. بعدما استحالت عودته إليهم من زيارة والديه القصيرة بسبب تلك الظروف القاسية.

« الأب هو بر الأمان لأولاده.. فيمَ بقائى هنا؟ فأولادى أهم عندى من أى شىء» تمتت في نفسها ثم حزمت أمرها في لحظة.

ربما جئنت أمام القصف والدماء.. بل فكرت كآى أم في الوجود.. فالقطة تنقل صغارها سبع مرات.. لم لا تنقلهم هى مرة واحدة فيها كل الأمان والاطمئنان.. ربما الهروب من الحصار والدمار.. الجاثم على أنفاسهم منذ سنوات طوال.

« لا.. لا.. لم أجبن.. لم أهرب.. لم أنس بلدى وأهلى وأجمل ذكريات عمرى» همست باكية وهى منكفئة على ماكينة الخياطة التى يكاد العمل عليها ليل نهار يقصم ظهرها.

لم تكن المرة الأولى التى تشعر فيها بهذا الألم.. أسندت ظهرها براحة يدها اليسرى.. وهى تضغط بأسنانها على شفتها السفلى.. أدارت عجلة الماكينة بيدها اليمنى.. وأخذت رجلاها تبدل على الدواسة فى تناقل وبطء.

لم تعد تحتمل.. زفرت متأوهة ثم نهضت متحاملة على نفسها.. إلى

أن وصلت فراشها الخشن.. ارتمت عليه تقضم الوسادة من شدة الألم.

«لابد من إجراء العملية» قال لها الطبيب بالمركز الطبى المجانى بالبلدة المجاورة.

لكنها أهملت لضيق ذات اليد.. وظلت تتحايل على آلامها ببعض المسكنات قليلة التكلفة.

اليوم لا طاقة لها بالألم.. فهى التى طالما هزمت المرض.. خبت مقاومتها أمام جبرونه الرهيب هذه المرة.. خضعت مستسلمة فى انكسار.

« أم أحمد.. أم أحمد!» نادى إحدى الجارات.

« تفضلى يا ست أم حسن» ردت رؤيا بصوت منهك مبحوح كأنه حشرة.

« سلامتك يا أم أحمد.. سلامتك يا غالية» جرت المرأة إليها مذعورة.

-أنا كويسة.. ما تتخضيش كده.

-لا.. لازم أوديك لدكتور.

-مفيش لزوم أبداً.. انا كويسة خالص.

وابتلعت ريقها بصعوبة وهى تشكر الجارة العظوفة .. فالأهل لا يفعلون ما يفعله الجيران لها فى مصر.

« كان عنده حق المرحوم يصير على مجيئنا لمصر .. انتم فعلاً أهل كرم ومروءة وأصل » همست وهى تحاول إخفاء دموعها دون جدوى.

« ما تقوليش كده .. دانت اختنا وزى المرحوم تمام » ربت الجارة على ظهرها فى حنو وعطف .

انحدرت العبرات من عينيها ساخنة .. تساقطت على وجهها الشاحب .. العاتبة ملامحه العربية الأصيلة على هذا الزمان.

« أولادى .. حنان وأحمد .. خلى بالك منهم ياست أم حسن .. دول بيحبوك زى تمام وأكثر » قالت بصوت واهٍ ونشجت حتى تقطعت أنفاسها .. والمرأة تحتضنها لم تنزل وتربت على ظهرها.

« إيه يا رؤيا ؟ مالك النهارده ؟ انت زى الفل يا حبيبتى .. وإن شاء الله محدش هياخد باله منهم ويفرح بيهم غيرك » قالت المرأة منقبضة شاردة.

وبين الوعى واللاوعى بدت رؤيا .. مر أمام عينيها شريط حياتها بطيئاً .. جاءت مصر .. تركت وراءها كل شىء .. وظيفتها المرموقة

بواحدة من أكبر شركات النفط.. ثروتها الضخمة التي ورثتها عن أبيها وجدها.

تركت كل شيء من أجل أولادها.. وجاءت لتعيش في قرية ريفية صغيرة.. مع زوج لم تدم حياته معها إلا أشهر قليلة.. رحل وتركها تواجه الحياة بطفليها فرادى.. لا سند ولا حماية.. في بيت صغير خالي من الدفء والنبض.. تحتضن الطفلين وتجتر ذاكرتها في ليالي الشتاء الطويلة.

ألبوم مليء بالصور هو ملاذها دائماً.. تغوص فيه فيقتلها التحسر على أيام خلت.. ذلك الألبوم الذي لم يفكر أحد أن يأخذه منها في رحلتها المضنية إلى مصر.. لأنه معدوم القيمة والنفع كما قالوا.

فقدت كل أوراقها كما فقدت كل أشياءها في رحلة المجيء الدامية.. التي كتب عليها وطفليها خوضها بكل ما فيها من شقاء ومرارة.

رحلة أليمة لا تحب أن تتذكرها.. لا تدري لم تمر بخاطرها الآن؟ تتهادى بكل تفاصيلها.. منذ اللحظة الأولى التي ودعت فيها الأهل والأحبة وتوجهت إلى حدود البلاد.. آملة في العبور إلى بر الأمان.

ويتوقف شريط الذكريات.. تتمنى لو أن هذا الذي مر أمام عينيها مجرد حلم.. أو حتى كابوس أفاقت منه لتوها.. وأن نهايته هي ذلك

السكون الذى جثم عليها فجأة.

يستأنف الشريط كره.. رعشة عارضة تهزها.. يتوقف الشريط طويلاً على الحدود.. ألواناً من الذل والعذاب لاقتها هناك.. كأنه الحقد لخروج إنسان محاصر إلى مكان أكثر تحراً.. ربما لهم العذر.. لكن ما ذنبها وأطفالها؟ !

أخذوا كل نقودها وحليها.. وحقائب الملابس.. حتى علب اللبن الخاصة بالرضيع سكبوها على الأرض.. وهى لا تملك إلا أن تحتضن الطفلين وتبكي.. وتضرع إلى الله أن يرحمهم مما هم فيه.

« أنا إنسان مثلكم.. ارحموني يرحمكم الله!! » صرخت فيهم بهستيريا.

ولأول مرة فى حياتها تعلم أن الإنسان بهذا الهوان.. وأن الدنيا بهذا القبح.. وأن الآدمية والمشاعر والعزة والكرامة.. ما هى إلا مجرد كلمات وهمية لا وجود لها.. ولا احترام لحاملها بأى شكل من الأشكال.

غادرت رؤيا منطقة الرطبة على حدود بلادها محطمة تماماً.. لاشيء فى يدها سوى الطفلين وخيبة أمل كبيرة فى الدنيا والبشر.

انحسر اللاوعى شيئاً شيئاً.. بدأت تتركز فى بؤرة شعورها حقيقة

ما.. وجعلت تتمم بلهجة مصرية صميمة.. أتقنتها على مدى تسع سنوات عاشتها كمصرية أصيلة ولدت على أرض هذه البلاد.

رفعت رأسها في تناقل شديد.. كأنها تحمل أطناناً من الرمل فوق عنقها لا رأساً لها هذه الملامح الهادئة المريحة.. يزينه هذا الشعر الأسود المسبل إلى خاصرتها.

ساعدتها الجارة حتى تعتدل في فراشها.. داعية لها بالشفاء.. وجعلت تقرأ الفاتحة والمعوذتين.

« بلغوا سلامي وحي لأهلي وبلدي .. للفرات ودجلة.. لكل ذرة تراب على أرض وطني .. لكل نبت أخضر يبحث عن مكان للحياة في أمان وسلام! » تأوّهت ثم همست في هدوء.

« حنان.. أحمد.. نور عيني.. خلى بالك منهم يا ست أم ح.. س.. ن » أردفت بصوت خافت متقطع .



السحابة البيضاء

بدأ الشتاء الكئيب يللم أيامه القاتمة.. ولياليه
الطويلة الجامدة.. التى لا تحبها وتنقبض منها
طفولتها الهشة.. شيئاً شيئاً انتعش الوجود.. وشيئاً
شيئاً تزينت الدنيا بالألوان الزاهية النضيرة.

نفثت حدائق البرتقال واليوسفى عبقها الزكى..
المختلط بشذا أزهار الخوخ والمشمش
والليمون.. المنتشرة هنا وهناك.

فراشة صغيرة.. جميلة.. شردت عن السرب..
انتحت جانباً.. قاصدة شجرة الفل.. القابعة هناك
على البعد على حافة النهر.

صنعت عقداً جميلاً.. وسواراً زينت به معصمها
الصغير.. وخاتماً لأصبعها الرقيق.. ولرأسها تاجاً
فاتناً.

مضت عائدة إلى البيت.. وعيناها الزمرديتان تلتمعان حسناً وبريقاً
قلما تحويه عيون بشر.. وجيدها النحيل منقوع في عبير الفل الفواح.
ملاك جميل بدت الصغيرة وهى تتهادى على الطريق المؤدى إلى
منزلها.

« لحظة يا قطقوطة » قالتها الجارة كعادتها في كل يوم .. حينما
تنتظرها وهى عائدة من المدرسة.. وتردف بسرعة « قربى
أكثر.. خلينى أبصلك علشان أجيب بنت تشبهك.. فى ملامحك
الحلوة المسمسة.. وعنيكى الخضرا الجميلة دى».

وبراءة الأطفال تبسم الصغيرة دون أن تدرى ماذا تعنى تلك
المرأة السمراء ضيقة العينين منتفخة البطن..هى جارة مزعجة
وحشرية لكنها ليست سيئة جداً على أية حال.

« تعالى يا بنت .. كفايكي تأخير بقى » يأتى صوت الأم ممزوجا
ببعض الضيق.

ترجف الصغيرة.. فأمها لا تحب تأخرها خارج البيت لأى سبب
.. وبخاصة تلك الرومانسية والنعومة التى تبدو فى طبعها.. فهى ترى
هذه الرقة عيباً كبيراً.. تثير طمع الأغبياء ومرضى النفوس.. وتدعو
الناس للاستخفاف بعقلها.

« أسفة يا ماما.. رحى عند شجرة الفل غصب عنى .. مش

هاعمل كدا تانى « تهمس الصغيرة وهى تقدم أولى خطواتها داخل البيت.

وقت يسير واشتعلت وجنتا الصغيرة.. شعرت بالنار تسرى فى كامل جسدها .. جعلت تزدرد ريقها بصعوبة بالغة.. لمعت عيناها الخضراوان النجلاوان ببعض العبرات اللاإرادية .. بينما بدت خلفية عينيها حمراء قانية.. ندت عنها آهة واهنة.. تتابعت بعدها الآهات.

« ماتخافيش يا حبيبتي .. هاتبقى كويسة بعد ماتخدى المضاد الحيوى.. وتشربى الليمون الساخن ده» ربت الأم على ظهر الصغيرة.

انتظرت الأم أن تنخفض الحرارة دون جدوى.. جعلت تذرع الغرفة جيئة وذهاباً « أعمل إيه بس ياربى؟ بنتى بتضيع منى» .. بينماتئن الصغيرة بلا انقطاع.

ارتدت الأم ملابس الخروج مهرولة.. حملت الصغيرة إلى الطبيب.. وقد جعلت تهذى وتتمتم بكلمات غير مفهومة.

« كم عمرها؟» سأل الطبيب .. وأجابت الأم « سبع سنوات».

وبعد صمت قليل عاود الطبيب مسائلاً:

- من امتى وهى كدا ؟

- بقالها كام ساعة يا دكتور.

- ولسة جايهاها؟

- قلت همى عادية هتروح بالمضاد الحيوى والتدفية فى السرير.

- الحقيقة هى حالة غريبة جداً.. لم تصادفنى طوال سنوات عملى.

- ودا معناه إيه يا دكتور؟!

- يفعل الله ما يريد!

انفجرت دموع الأم .. فى حين جلس الطبيب على مكتبه.. يتحدث فى الهاتف همساً .. باللغة العربية تارة.. وبالإنجليزية تارات شتى.

وضع الطبيب سماعة الهاتف.. بعد حديث طويل جداً مع أكثر من طرف.. ولم تزل الأم مشغولة عما يجرى حولها بدموعها الغزيرة وأفكارها المرعبة.

«هاعمل كل اللى أقدر عليه .. اطمنى.. ولكن أرجوك الهدوء عشان أعرف أشوف شغلى» حدثها الطبيب برفق.. وأسرعت الأم ترجوه وتتوسل إليه أن ينقذ ابنتها ولن يسمع لها صوتاً مطلقاً.

انفرجت الأزمة.. وتخطت الصغيرة مرحلة الخطر حسب كلام

الطبيب.. وقفت الأم عاجزة عن الشكر.. لا تعرف كيف تكافئ هذا الإنسان الذى رد إليها روحها.. التى كادت تزهد من مجرد التفكير فى رحيل الطفلة عن الحياة.

مرت أيام قلائل.. تعافت الصغيرة تماماً.. إلا من رمد بعينيها لا يريد أن يزائلها.. حار الطبيب معه.. وحارت العقاقير.

« قد يزول بعد فترة » قالت الأم بينها وبين نفسها دون أدنى سوء ظن.

عادت الصغيرة إلى المدرسة.. وفى ذهابها وإيابها تنتظرها تلك المرأة السمراء ضيقة العينين منتفخة البطن.. التى تريد أن تلد بنتاً تشبهها.

لعب القلق بقلب الأم فطافت بالصغيرة على كل أطباء العيون.. لكن عيني الصغيرة لم تستجب لأيهم.. تدهورت حالتها.. مضى اسبوعان على تلك الحال.. وعينا الصغيرة محمرة دامعة متقرحة.. والرؤية تقل تدريجياً.

وفى اليوم الأخير لعلاقتها المباشرة مع الألوان والضوء.. انتظرتها ذات المرأة السمراء ضيقة العينين منتفخة البطن وهى عائدة من المدرسة.. لتملى ناظريها من ذلك الحسن المتفرد.. والذى لم تقع عيناها الضيقة على مثيله.. تحسست شعرها الأصفر المسترسل..

اللامع كخيوط الذهب « لسة عينك بتوجعك .. يااااه.. دى عين وصابتك يابنتى .. ياترى عين مين دى ».

أخذت الصغيرة تتحسس الأرض تحت قدميها وهى تتخطى عتبة البيت .. وبصيص النور الذى كان ينعكس على عينيها مكوناً سحابة بيضاء يخبو رويداً رويداً .. وينسحب من أمامها حتى تلاشى تماماً.



الغريبة

منذ سنوات وتلك المرأة الغريبة تدور بلا هوية
على البيوت والمحلات.. حتى المكاتب في
الهيئات الحكومية.. تهيم على وجهها في الطرقات..
تستجدي هذا وتسب ذاك ونمدح الآخر وتضرب
الأطفال الصغار في الشوارع.

ترشق الأبواب والنوافذ بالحجارة.. تجرى
وراء الفتيات لتمزق أثوابهن وتخطف ما بأيدهن..
تفعل أشياء غريبة مثلها تماماً.

لا أحد يستطيع كبح جماحها.. فلا وازع لديها
من عقل أو حياء.. الجميع يتحاشاها خشية أن
تجعله أضحوكة الحى.. فالجميع يعرف أنها
مجنونة ويجب تجنبها.. إلا موظفات مكتب
السكرتارية بالمدرسة الثانوية.. فهى التى ترجوهم

دائماً أن يتركها في حالها ويرحمها من مكرهن وخبثهن.. فتكون بينهن حملاً وديعاً وقع فريسة لقطيع من الضواري .. لا يخلصها من أيديهن إلا مها.. تلك السيدة الشابة.. الهادئة الوديدة ذات الملامح المتناسقة الجميلة.. والتي تخطو حثيثاً نحو نهاية عقدها الرابع.

« سيوها حرام عليكم.. دى مسكينة » تصيح في زميلاتها بلطف وتشير عليها بالانصراف من هذا المكتب في التو.

« ليلي مين؟ دى سندس يا مها » قالت إحدى الزميلات.

حقاً هي تعلم ذلك لكنها تنسى دائماً وتناديها « ليلي » وتعود تتذكر عندما تلفت نظرها إحدى الزميلات.

من ليلي هذه؟ دائماً يسألونها ولا تجيب.. كثيراً ما طلبوا منها أن تحكى لهن قصتها.. بينما تصمت ربما من فرط الحيرة فيما إذا كان من حقها أن تروى تلك القصة أم لا.. لكن الإلحاح شديد هذه المرة.

تسافر مها عبر ذكرياتها.. تحاول استدعاء الأحداث المستقرة على حافة الذاكرة.. تنادى عبثاً على بطلتها الغائبة.. ربما يعود الغائب.. ولكن الغائب لا يعود.

دارت الأرض بها.. تراقصت في عينيها الصور المعلقة على

الحوائط.. واهتزت قطع الأثاث المنسقة حولها في الصالة الكبيرة.. وقبل أن تغيم الرؤية تماماً ناشدت زوجها المحامى الشاب أن يتوقف عند هذا الحد من المناقشة.. التى احتدت بينهما على غير العادة دون أن يشعرا.

مضت متثاقلة إلى غرفة النوم لتريح جسدها المجهد.. المثقل بمسئولية مخلوق جديد يتكون بداخله.. لم تكن المرة الأولى التى تشعر فيها بهذا الشعور وتعيش هذه الحالة.

كانت مفاجأة سارة جداً لقلبها عندما وضعت حملها الأول.. منذ سنوات كثيرة واكتشفت أنها رزقت بتوأم جميل.. البنت والولد معاً.. يالها من نعمة تقدرها جيداً.. وتشكر عليها العاطى الوهاب صبح مساء.

تحب الأطفال هى جداً.. تتمنى لو ترزق طفلاً فى كل عام.. تقول دائماً كما لو كانت رجلاً من العصور السحيقة « الأولاد عزوة وسند».. بيد ان الله أراد لها أن تكون هناك أعواماً ليست بالقليلة بين كل حمل وآخر.. كانت راضية تماماً بإرادة الله.. ورزقت من حملها الثانى بطفلة جميلة.. شقية.. رائعة المحيا.. شديدة الشبه بها.

هى الآن فى شهور الحمل الأخيرة.. تنتظر مولودها القادم بصبر نافذ وشوق بالغ كما لم تنجب قط.. تود لو تدور الأيام دورتها لتراه

وتسمع صوته.. تحدد ملامحه الصغيرة وتتحسس جلده الوردى الناعم.. ما أجمل هذا الإحساس لديها .

تشعر باختناق شديد.. يعلو ويهبط صدرها مع كل شهيق وزفير.. كأن ذرات الأكسجين تضاءلت في الهواء .. وفي حركة تلقائية فتحت النافذة المغلقة بإحكام .. ألقت برأسها وبعض جسدها إلى الخارج.. صفعتها ريح باردة .. ربما لتذكرها أنه يجب عليها ان تدخل مسرعة.. وتحكم إغلاق النافذة مرة أخرى.. فسماء يناير الغائمة ستصب جام غضبها على الفور.

لكنها لم تلقى بالآ لهذا الإنذار الصريح .. ظلت عينها معلقة بمشهد لم تر في حياتها مثله.. تصلبت أذنها وهى تلتقط تلك الهمهمات الغريبة التى ترددها امرأة ناشرة الشعر.. غريبة الأطوار والملبس.. بدت لها وكأنها جنية انشقت عنها الأرض.. أو خرجت من النهر المجاور للمنزل الكبير.

وفي عصبية شديدة ألقت المرأة صرة كانت فى حجرها بينما هى جالسة إلى جوار الجدار أسفل النافذة.. انطلقت صرخات مفاجئة من الصرة لحظة ارتطامها بالأرض.. فصرخت مها مفزوعة.

فجأة نشر الصمت غير المبرر عباءته على المكان .. لتكتشف مها أنها كانت شاردة طوال كل هذه الدقائق الماضية.. وأن التوسلات فى

عيون الزميلات قد اشتدت كثافتها بعد أن انتظرنها طويلا حتى تعود من شرودها .. وأفترغت كل منهن ما لديها من قصص قد تكون متشابهة مع القصة المنتظرة.. ومنهن ما شط بها الخيال إلى أبعد من ذلك فاخترعت قصصاً وسيناريوهات من بنات أفكارها.

وأمام رغبتهن الجارفة أخذت مها تحفر في ذاكرتها .. وتخوض في أعماق أيامها.. تلملم خيوط الأحداث البعيدة.. لتسج منها أغرب قصة صادفتها في حياتها.

بدا دور الراوية مناسباً لها تماماً.. والزميلات يصيخن السمع في اهتمام غريب ودهشة.. فانبرت تعيش الأحداث من جديد...

كان يوماً غريباً مطيراً حين رأتها لأول مرة.. أروعها منظرها وحرركاتها وكلامها.. صرخت منادية زوجها الذى هرع إليها في لمح البصر.. وقد قفزت إلى ذهنه خيالات مرعبة.. أشارت مرتعدة إلى أسفل فأخذ يربت على كتفها ويهدوء شديد أغلق النافذة.. وهو مازال يعتقد أن المناقشة التى احتدت منذ قليل هى السبب فى هذا الذى ألم بها.

وبعد وقت لا تدرى أكان طويلا أم قصيرا استيقظت من نومها.. بدأت تسترد عافيتها فيبدو أن أعصابها كانت مجهدة بالفعل.. وجدت فى نفسها أثر فرحة طارئة.. لقد وافق زوجها أخيراً على

تسلمها العمل.

« شكراً لك أيتها المرأة الغريبة! » قالت مبتهجة.

يعلو الصياح بالخارج .. يهرع الجميع إلى النوافذ.. لطمات تدوى على الخدود والرأس .. يشتد الصراخ حتى تنقطع الأنفاس وتغيب تماماً .. شتائم وألفاظ خادشة تُقذف في وجه أشخاص وهميين لا وجود لهم إلا في رأس تلك المرأة ناشرة الشعر غريبة الأطوار والملبس.

يلف الصمت المكان مرة أخرى ويتأكد لمها أنها كانت المتحدثة الوحيدة طوال كل هذا الوقت الفائق .. وقد ازدادت كثافة التوسلات في العيون المنصتة.. فعادت مها تلتقط خيوط الحديث من جديد.

ومرت أيام قلائل وجاء يوم تسلمها العمل .. وبعدها انقضى يومها الأول وفي طريق عودتها إلى المنزل اصطدمت بها .. همت لتمسك بتلابيبها بيدها القوية وأظفارها الطويلة كمخالب قط بري.. خرج أهل المنزل جميعاً على صراخ مها.

« سيببها يا ليلي.. دى مدام ابني .. الاستاذ محمود » قالت لها جدة الأولاد فتركتها على الفور وجلس الجميع يهدئون من روعها.

نادت جدة الأولاد على ليلي وتحدثت معها لبعض الوقت .. فهي

تحب الجدة كثيراً وتسمع كلامها.. لتصبح ليلى منذ ذلك الحين إنسانة أخرى تماماً.. فكان كل من يراها معهم وبينهم لا يصدق أبداً أنها هي.. تلك المجنونة ناشرة الشعر غريبة الأطوار والملبس.

مرت الشهور سريعاً وجاء المولود المنتظر «أحمد».. والذي راق ليلي منذ اللحظة الأولى أن تسميه «لاوس» ولا أحد يدرى من أين جاءت بهذا الاسم وعندما سألتها مها قالت «أهو لاوس وخلاص يا ست ام لاوس».

«لاوس.. لاوس.. بس يعيش» قالت مهما ممازحة.

الغريب أن ليلى تحملت مسئولية تربية هذا الوليد منذ اليوم الأول.. أحبته كما لم تحب طفلاً قط حتى رضيعها الذى بين يديها.. وتخاف عليه خوفها على شىء عزيز لم تملكه.. تحمله طيلة الوقت.. تغسل له لفائفه وسراويله الصغيرة وتقبلها قبل أن تطويها وتضعها فى خزانة ملابسه.

فجأة اختفت ليلى برضيعها كما ظهرت.. تاركة «لاوس» ابن الأربعين يوماً.. ذابت مع ثلوج الشتاء دون أن يدرى بها أحد.. أو تترك وراءها أثراً يشى للنفس بعودتها يوماً.

لملمت خلفها الخماسين ذراتها المطبقة على الدنيا.. كما مر الصيف المرهق بقيظة وجوه الخانق دون أن يبشر بعودتها.

ونسى الجميع ليلي وكلام ليلي وصراخها وألفاظها.. لكن شيئاً ما بقي بقلبها وذاكرتها لتلك المرأة ناشرة الشعر غريبة الأطوار والملبس.

عادت المدارس تفتح أبوابها من جديد.. وغرقت فيها في العمل وكادت تنسى هي الأخرى تلك الليلى ناشرة الشعر غريبة الأطوار والملبس.

و ذات يوم أثناء عودتها من المدرسة لمحت فيها نفس البطاطين والأسمال البالية منشورة على سور حديقة المنزل وأفرع الأشجار المتدلية فوقه.. شئ ما بدأ يعتمل في نفسها.

« ليتها تكون هي » همست في نفسها.

« ازيك يا ست ام لاوس » بادرتها قبل أن تكمل حديثها الهامس.

وبعد حديث ليس بالطويل دار بينهما في الشارع أخذتها معها إلى الداخل لترى حبيبها لاوس.. ثم تركتها معه وقد انشغلت بتبديل ملابسها.. مطمئنة تماماً أن صغيرها في أيد أمينة.. رغم كل التحذيرات التي انهالت عليها سابقاً من الجارات والأقارب .

حاولت معها إقناعها بأن تخصص لها مكاناً حتى ولو في الجراج يحميها هي وصغيرها من الأمطار والبرد.. إلا أنها كانت تأبى بشدة

وتشير إلى السماء قائلة « الى خلقتا يحميننا ».

وتستمر الحياة وتمضى الأيام بالبشر.. وينقضى الشتاء.. وتختفى ليلي مرة أخرى.. ودون أن تودع أحداً.. وتحار العقول مرة أخرى في سر ظهورها واختفائها المفاجئ.. وكالعادة ينسى الجميع ليلي وحكاياتها العجيبة.. ويبقى بقلب مها وذاكرتها شئ لتلك المرأة الغريبة ناشرة الشعر غريبة الأطوار والملبس.

سنوات مرت على تلك الحال.. تظهر ليلي وتختفى.. ولم يعد يندهش الناس من ذلك الحدث.. وانشغل كل بأموره عن هلاوسها ومنظرها الذى غدا مألوفاً لديهم.. فأصبح من الطبيعى أن يرى الجميع امرأة غريبة تبيت إلى جوار الجدار في ليالى الشتاء القارسة.. رافضة أن يستضيفها أحد أو أن تحتمى بصغيرها في أى ركن من العواصف والرعود والأمطار.. تستيقظ مع الفجر في كل يوم تلملم أسماها من على أفرع الأشجار لتغسلها في النهر ثم تنشرها مرة أخرى.. تغمر صغيرها في ماء النهر البارد ليلاً أو نهاراً كلما اتسخت يدها أو ملابسه.

غدا بديهيّاً أن يتمهل كل من يقصد دورة مياه المسجد في أية ساعة من نهار أو ليل.. ليتأكد من عدم وجود ليلي بالداخل للاستحمام.. حتى ولو لم تكن تصيح بترنيماتها الغريبة التى تشبه

تمتامت السحرة والمشعوزين.. وإنذاراتها الفجة لكل من يسوقه
قدره إلى هذا المكان في تلك الساعة.

ويمضى قطار السنين .. وتظهر ليلي مع الرعود والمطر ..
وتختفى مع أول خيوط الدفء .. وينسى الناس .. ويتذكرون .
« يا ترى انتى فىن دلوقت يا ليلي؟ » تنهد مها وتهمس حزينة
متأثرة.

تركتهم ليلي منذ أن التحق لاوس بالمدرسة.. سبع سنوات مرت
على اختفائها.. سبع سنوات والشتاء يأتى بدونها.. ترى هل مازالت
حية؟ هل مازالت تذكرهم؟ هل مازالت تحب لاوس؟ لقد كبر الآن
وكاد يتخطاها عوده.. مسكينة ليلي .. أتت وغادرت دون ان يعرف
أحد حكايتها.

تنهمر بعض الدمعات من عيني مها وتصمت طويلاً.. ويبقى
بقلبها وذاكرتها شيء لتلك المرأة ناشرة الشعر غريبة الاطوار
والملبس.



(١٤)

أعواد الثقاب

صراخ وعويل شق سماء القرية الكبيرة وبدد
سكون الليل.. لم يكن غريباً أن يحدث هذا الذى
يعنى أن هناك حادثة ما قد جرت.. وغالباً ما يكون
هذا تعبيراً عن فقد عزيز.. ورغم معرفة الناس
الأكيدة لهذا إلا أنه شيئاً مفزعاً لم يزل.. فلا يعلم
أحد من هؤلاء الذين يغطون فى نومهم أى فرد
حانت ساعته.. إلا أنهم هذه المرة يعلمون تقريباً.

فى لحظات امتلأت شوارع القرية بالناس..
جعل الرجال يلغطون وهم يندفعون نحو البيت
مصدر الضجيج.. امتلأت الدار الكبيرة سريعاً
وذلك الفناء الواسع بالخارج أيضاً.. وقت يسير
وتدافعت النسوة متشحات بالسواد.. كأنهن قطع
متحركة من الليل البهيم.

يُسمع للجميع همهمات متداخلة ومصمصات شفاة.. وعلى الشاطئ الشرقى للترعة الصغيرة التى تقسم البلدة إلى نصفين أحدهما كبير نسبياً عن الآخر.. سُمعت عجوز تصيح وتولول وهى تندفع كالريح قاصدة منزل المتوفى.. والذى يعرف الجميع أنه الأخ الأكبر لها وكبير العائلة المتشعبة فى أماكن شتى.

وقت مضى لا يعرف الناس كم على وجه الدقة.. بدأ الجمع يتفرق كل إلى داره إلا بعض الأقارب والمقربين الذين قضوا ليلتهم بمنزل المتوفى الذى قرر أبناؤه أن يدفنه بعد ظهر الغد.

ومع بزوغ أول شعاع للشمس كان الابن الأكبر للمتوفى.. أو العمدة الصغير كما يطلق عليه أهل القرية يوزع الأدوار على إخوته وأزواج أخواته البنات.. ظل هو باقياً يباشر أمور الغسل وتجهيز ذلك الجسد المسجى هناك فى غرفة بأقصى البيت.

« إنا لله وإنا إليه راجعون .. توفى إلى رحمة الله تعالى الحاج... »
كرر رجل عبر مكبر الصوت بمسجد القرية مرات عديدة.. هز الصوت أرجاء القرية ونفذ إلى بعض البيوت المتناثرة حولها.. وتناقل الناس الخبر إلى ما بعد ذلك.

توافدت الجموع من القرى المجاورة والأقارب من بلاد بعيدة.. بينما قد تمت طقوس الغسل على خير ما يرام هناك فى قاع

الدار.

ارتفعت شمس الضحى معلنة عن قرب موعد التحرك بالجنائز
إلى المسجد للصلاة عليها.. فى حين تجمع الرجال الذين تفرقوا من
قبل إلى مهامهم.

« ربت موضوع الحراسة يا حاج أحمد » قال العمدة الصغير لزوج
أخته الكبرى.

« كله تمام يا عمدة » قال الحاج أحمد مؤكداً .

سار الناس بالجنائز إلى المسجد يصاحبهم صوت المؤذن عالياً.
عشرون فدناً هى مساحة مقابر القرية.. على بُعد خمسمائة متر
تقريباً.. لا تكاد تمر أيام قلائل حتى تدفن بها جثة.. وعلى الفور
يرابط أكثر من خمسين رجلاً على رأس مقبرة المتوفى ليل نهار.. ولمدة
أيام طويلة حسب اعتقاد أهل الميت أن الجثة بدأت تتحلل.. وأن
كل دقيقة تُعد خطوة واسعة جداً نحو العدم.. وغداً هذا المشهد
الغريب مألوفاً لدى كل القرى المجاورة وحتى المارة من الغرباء.

ليس هذا تقليداً جديداً ابتكره أهل القرية من فرط الحب
لموتاهم.. أو عدم القدرة على فراقهم.. وإنما هو السبيل الوحيد فى
نظرهم لحماية موتاهم من مصير مهين.. إذا ما وصلت إليهم أيدي

العصابة التى تسرق الجثث.

عام ونصف العام والذعر يتملك الأسر على مصير موتاهم .. عام ونصف العام يفعلون ذلك صيفاً وشتاءً .. عام ونصف العام يسهر الأحياء على راحة الموتى فى تلك المقابر.

« ابقوا أنتم هنا مع الجماعة .. افتحوا أعينكم جيداً .. أى حركة اضرب فى المليان » قالها العمدة الصغير بلهجة أمرة لبعض الخفر.

توزع الحراس من أسرة العمدة فى جماعات صغيرة متفرقة .. تناثرت حول المقبرة من الرأس إلى القدمين .. فهو ليس أى ميت إنه العمدة الكبير .. بينما تناثر الخفراء بعيداً عنهم بأمتار لمراقبة الممرات الضيقة بين المقابر .. فلا يجتمع أحدهم بآخر مطلقاً إلا خلسة لحظة أن يحتاج بصورة ملحة إلى سيجارة .. أو تلح به كلمة تهكم أو سخرية لا يستطيع بالطبع إطلاقها على مسامع الجماعات المتفرقة هناك.

« بالك يا واديا حسونة أنا لو من الناس دول كنت سييت العصابة تسرق العمدة الكبير .. دا عليهم بخسارة .. أى والله » همس أحد الخفراء لآخر على مقربة منه.

« اخرس يا واديا عزوز حد يسمعك ونروح فى داهية » قال الآخر مرتبكاً مرتعداً.

وضع الخفير سليط اللسان يده على فيه.. فى محاولة لكتم صوته الذى ظن أنه وصل إلى أسماعهم هناك.. وهروا مسرعاً إلى مكانه.

تهامس الشبان فيما بينهم وتبادلوا القفشات بصوت خفيض عن جدهم «المحروس» بداخل هذا المبنى الصغير ولا شىء على باله مما هم فيه الآن.

بينما تحلق بعض الرجال يغطون ويتمتمون.. بكلمات غير مسموعة تقريباً إلا فيما بينهم.. ربما تكون عن الميراث فقد بدوا أنهم أزواج البنات الخمس.

عاد الخفير منفلت اللسان إلى زميله ذى القلب الخفيف.. وكان يكتم ضحكة غالبته.. لدرجة تفضح حزنه الزائف على عمدته الكبير إن لم يتمالك ويكبح جماحها.

« فاكروالية القرشانة أم اسماعيل لما وصتهم يدفنوها عند أهلها فى آخر الدنيا» يهمس إلى زميله فى حين التزم الزميل الصمت جُبناً.. ولم يكن منه إلا أن تتم فى نفسه متراجعاً إلى الخلف ليستقر مكانه عازماً ألا يعود لمحادثة هذا الجبان مطلقاً حتى نهاية المناوبة.

تذكر الخفير بينه وبين نفسه أنهم أقسموا لها أن الحراسة ستكون مشددة.. وأن أحداً لن يستطيع أن يقترب من قبرها.. وعاد الوفد الذى ذهب لإقناعها بخيبة أمل كبيرة.. فرأس تلك الهرمة مثل الحجر الصوان.

« نحن جميعاً أولادك .. لا تخشى شيئاً سنحرسك .. وستشعرين بنا » تطوع الرجال مخلصين .. وعلق بعض خفيفي الظل مماًزحاً « وإن لم تشعرى بنا فأخرجى جرياً » .. فعادت العجوز أكثر تشبهاً من ذى قبل .. وقد خيل لهم أنها كادت تلين.

فحقيقة أنها مقطوعة من شجرة ألحت بها وجعلتها تصر على وصيتها .. فهي هزيلة جداً وتصور لها أنها لن تحتمل ما سيفعل بها من تمزيق وتكسير إذا ما سرقها عصابة الجثث .. وبعد أن أسلمت العجوز الروح لم يكن أمام الجميع إلا تنفيذ وصيتها.

انفلتت من الخفير بعض ضحكة عالية .. التفت على إثرها أفراد كثيرون من مرهفي السمع فى الجماعات الصغيرة المتفرقة .. كان الخفير قد أغلق فمه فى سرعة البرق بالضبة والمفتاح .. لحظات قليلة وعادت الجماعات إلى لغطها .. بينما نظر الخفير نحو الفضاء الواسع .. دون أن يفتن أحد إلى أنه هو الذى فعلها.

لاح منظر الجماعات الصغيرة المتفرقة لرجل العصابة على البعد هناك خلف مبان القرية .. تصورا له كأنهم أعواد ثقاب مرشوقة فى الأرض .. لا يرى منها سوى رؤوساً سوداء وربما جزء يسير من العنق لا يتعدى قيد أنملة .. بينما لا يرى أثراً للجلايب البيض مطلقاً.

« أهى تسالى .. يعنى لا جثة ولا تسلية؟ » قالها رجل العصابة الذى جاء ليستطلع الأمر .. راق له أن يللمم أعواد الثقاب المتناثرة هذه فى

علبة واحدة.. تسلل في بطن نحو المقابر كأنه أحد المارة الغرباء
يقصد قرية أخرى بعيدة خلف حدود المقابر.

كانت الشمس تحتضر بيد أنه لم يفكر مطلقاً في سرقة جثتها بعد أن
تهمد فيها الحياة .. فهو لن يستطيع الحصول عليها .. لا هو ولا
عصابته ولا كل عصابات شيكاغو ولا حتى الجن الأزرق.

تلاشى الشفق الأرجواني شيئاً شيئاً .. وهبط الظلام حثيثاً .. بدا
وحيداً على الطريق كشبح .. لم يكن أحد يلتفت إلى أى شخص يسير
بمفرده أو حتى اثنين .. إذ كان اعتقاد الجميع أنها عصابة ضخمة
مدججة بالسلاح يعلو وجوه أفرادها الأجرام.

زحف رجل العصابة كالثعبان على بطنه .. تكوم إلى جوار مقبرة
نائية شيئاً .. فتح كيس الحصى الذى جمعه على امتداد الطريق إلى
المقابر .. بدأ برشق الأولى في رأس الخفير حسونة .. الذى تحسس
مكانها في رأسه .. ثم قبض على زنابندقيته الميرى مستعداً للضرب
في المليان .. لكنه عاد لوضعه الطبيعى وهدوئه عندما أقنع نفسه أنها
تهيئات من رهبة المكان.

رشق الثانية في قفا الخفير عزوز الذى سُمع صياحه ربما في القرية
وهو يردد «عفريت .. عفريت».

ارتبك همس الجماعات المتفرقة .. عمت الفوضى نظام الأعواد
المرصوفة بدقة من دون قصد.

« ماذا جرى؟ » صاح أحد الأفراد متسائلاً.. وفأفاً الخفير خفيف القلب والعقل منهاراً.

« جتك البلاوى وانت خرع كده » قال آخر وهو يصفعه على قفاه.. عاد الرجل يرشق الجماعات المتفرقة.. حصاة بعد الأخرى حتى تشبث بعضهم ببعض فى ذعرٍ لم يعد يفلح معه أى اعتقاد بالتهيئات.

« عفريت.. عفريت » تتمم جميعهم فى نفس واحد مرتعدين.. « هكذا تماماً أردتكم يا غنم » تتمم رجل العصابة وهو يهز رأسه وينظر بطرف عينه من جانب المقبرة التى اختبأ خلفها.. حصاة أخرى.. اخذ الجميع ذيله فى أسنانه وطار إلى القرية من غير هدى.

تعالى ضحكات الرجل العفريت فى سماء المقابر.. تشق السكون وتخدش قدسية المكان.. مال إلى المقبرة التى كانت محروسة منذ قليل يحدث نفسه ساخراً « ما حاجتنا إلى هذا الليث العجوز الذى نهشه السرطان ».

« أغبياء.. أغبياء » أردف بنبرة أكثر سخرية ثم انخرط فى نوبة ضحك هستيرية .



مسيرة الخراف

نظر إلى الأفق البعيد نظرتة المعتادة .. والتي
تتكرر بين الفينة والأخرى منذ أن مالت الشمس
نحو المغرب وجعلت تلملم أشعتها من الكون
استعدادا للرحيل .. هز رأسه كمن عقد عزمًا ما ..
جعل يجهز نفسه للعودة إلى القرية البعيدة .. صاح
صيحاته المرعبة فانتظم الجمع في التوضو صفا
كطوابير المدرسة .. أو كتلك الممددة في قلب
الشوارع أمام المجمعات الاستهلاكية.

في طرفة عين كان الجمع يسير خلفه في سرعة
منتظمة .. يكاد الرائي يحسبهم فرقة عسكرية تؤدي
تدريباتها بكل دقة.

زمن طويل علمهم الخنوع والانصياع لكل
الأوامر دون نقاش .. زمن طويل تدرب فيه الكبار

على الطاعة العمياء.. وتربى الصغار.

درج الجميع فى كنفه جنباء متخاذلين.. دُمى يحركها كيف يشاء..
تأكل.. تشرب.. تنام.. تذبج.

تدق الصفوف الأرض بأقدامها.. تتطاير ذرات التراب.. تغلف
ماتبقى من ومضات الشمس الواهنة فتختنق آخر أنفاس النهار..
تسير الصفوف فى انتظامها دون تغير وهو فى غطرسته لا يلتفت إلى
الخلف مرة.. بينما لا يجرؤ أحد على التباطؤ أو الشذوذ.

ثُغاء مكتوم تحت سحابات أرجوانية شاحبة على امتداد الطريق
إلى القرية البعيدة.. تجد الصفوف رغم تعبها.. تضغط الأرض
متحاملة حتى لا تختل سرعتها أو تمس الفوضى انتظامها.. تسير فى
خطها المستقيم.. أشبه بالآلات مبرمجة.. ثُغاء مكتوم.. قلب فاتر..
سير بلا حماس.

يكاد الليل البهيم الذى جثَّ على أنفاس الكون يقبض أرواحهم..
ومازالت هناك بضعة أميال إلى القرية البعيدة.. الطريق تطول وتطول
على الصفوف المتعبة التى أنهكها طول المسير.. يمر الموكب
المنتظم بشجرة الجميز الضخمة على حافة الطريق.. يلوح الهيكل
الضخم فى الظلام كأشباح الأساطير اليونانية القديمة.

لم يلتفت أى منهم كما لم يلتفت هو.. مضى الجميع بلا هوادة فى

خطه المستقيم وصفوفه المنتظمة .. لا يجرؤ أحد على التباطؤ أو الشذوذ.

هاهى أخيراً المدينة الكبيرة .. وهاهى الطريق الأسفلتية التى يعبرونها فى الذهاب والإياب .. أشعلت أنوار السيارات العالية سماء الليل البهيم فتراجع الظلام مؤقتاً .. انعكست على المرايا الجانبية للسيارات صورة متحركة للصفوف منتظمة مسرعة .. مدّ عنقه زهوا بنفسه وقبضته الحديدية عليهم.

سيارة مسرعة تأتى من الخلف .. تطلق صفاراتها المعروفة .. تتحى كل السيارات تفسح لها الطريق .. الصفوف ثابتة متشبثة بمكانها تأبى إلا أن تمضى فى خطها المستقيم وسرعتها المنتظمة .. دوى الصفير فى آذان الكون .. لم يلتفت .. ولم تفسح الصفوف .. السيارة تصفر وتصفر .. نزل السائق .. طوح بيديه هنا وهناك .. سائرون فى طريقهم دون اكتراث .. صاح «أفسحوا» .. لم يلتفت .. ولم يفسحوا .. زعق فى كل اتجاه .. لم يلتفت .. ولم يفسحوا.

عاد السائق إلى سيارته .. أمسك بعجلة القيادة .. داس بكل قوته .. جعل يدهسهم الواحد تلو الآخر .. لم يلتفت .. ولم يفسحوا .

كم واحد مات؟ كثيرون؟ ثلثهم؟ نصفهم؟ كلهم؟ لا يهم.

المهم أنهم لم يشقوا عصا الطاعة!

عبر بما تبقى من صفوفه تلك الطريق الأسفلتية.. لم يلتفت .
الصفوف تسير خلفه في خطها المستقيم وسرعتها المنتظمة..
بينما لا يجرؤ أحد على التباطؤ أو الشذوذ.
صعد الدرج.. تناثرت الخراف التي هدّها التعب على أرضية
الفناء الواسع.. المسور بأسلاك شائكة تكاد تطاول السماء.



الفهرس

الإهداء	٣
المقدمة	٥
١- النبوءة	٩
٢- زمان الدفء	١٣
٣- لا جديد تحت الشمس	١٩
٤- يوم عادى جداً	٢٩
٥- زهرة الياسمين	٣٥
٦- السماء تمطر بشراً	٤٥
٧- روبيتا	٤٩
٨- عندما يجف النوار	٦١
٩- شتاء بارد جداً	٦٧
١٠- الديك الذهب	٨٣

- ٩١ رؤيا ١١-
- ٩٩ السحابة البيضاء ١٢-
- ١٠٥ الغريبة ١٣-
- ١١٥ أعواد الثقاب ١٤-
- ١٢٣ مسيرة الخراف ١٥-
- ١٢٧ الفهرس

